مدخل إلى يوحنّا

كان يوحنّا صيادا قبل أن يصبح تابعا لسيدنا عيسى المسيح. وكما حدث مع متّى، فقد منّ الله عليه بأن أصبح واحدا من الحواريين الاثني عشر. ويعتقد كثير من العلماء أنّ يوحنّا إنّما يعني نفسه عندما يذكر في سجلّه عبارة "الحواري الذي كان سيدنا عيسى يحبّه" (كما في يوحنّا 13: 23)، لكن لا يمكننا معرفة ذلك على وجه التأكيد. وقد أقام الحواري يوحنّا بعد ذلك في المقاطعة الرومانية آسيا التي تقع اليوم في الجزء الغربي من تركيا. وقد يكون الله اختاره خلال تلك الفترة من الزمن ليدوّن الوحي عن سيدنا عيسى المسيح. كما قد يكون قام بذلك على الأرجح بعد أن كانت سجلاّت متّى ومرقس ولوقا قد انتشرت بين الناس، وبذلك يكون قرّاء سجلّ يوحنّا لدى انتشاره عارفين بمحتويات أحد السجلاّت الثلاثة على الأقلّ. لذا قد يكون من الأفيد أوّلا قراءة أحد تلك السجلاّت قبل قراءة هذا السجلّ، وليكن سجلّ مرقس (بما في ذلك المدخل إليه).

رغم معرفتنا الكثير عن سيدنا عيسى المسيح من خلال سجلاّت متّى، ومرقس، ولوقا، فإن سجلّ يوحنّا يملأ بعض الثغرات التي تساعدنا على مزيد من الفهم. طبعا، يؤكّد الحواري يوحنّا أنّ سيدنا عيسى المسيح هو المسيح الملك المرسل من الله، مثله في ذلك مثل كتاب الوحي الثلاثة الآخرين. لكنّنا مع يوحنّا نغوص أكثر في كنه سيدنا عيسى من خلال استخدامه الموفّق والمميّز للمجاز والإيحاءات، كحديثه عن كلمة الله الأزلية التي صارت كائنا بشريّا (الفصل 1)؛ أو نور العالم الذي جاء ليخرجنا من الظلمات إلى النور (1:9، 8:12)، أو الأضحية السماويّة التي أتت لتحمل عنا معاصينا (1:29)؛ أو النبي الذي تجب طاعته، والذي أخبر عنه النبي موسى في التوراة (سفر التثنية 18:15-19)؛ أو الطريق الحقّ، ونبع الخلود (14: 6؛ 4: 14).

يخبرنا السيد المسيح في سجلّ يوحنّا أنّ أتباعه سوف يعانون الاضطهاد مثلما عاناه هو نفسه، لكنّه يعدهم بإرسال نصير لهم، هو روح الله التي ستقيم بداخلهم وتكون معهم إلى الأبد، وهي تساعدهم وتقودهم إلى الحقّ.

الإنجيل الشّريف

الوحيُ الّذي سجّله الحواريّ يوحنّا

بسم الله تبارك وتعالى

الوحيُ الذّي سجّله الحَواريُّ يوحنّا

1

الفصل الأوّل

كلمة الله الأزليّ

1 في البَدءِ، قَبلَ خَلقِ الكَونِ، كانَ الكَلِمةُ -- كَلِمةُ الله.
وكانَ الكَلِمةُ مَعَ اللهِ، وكانَ قائِمًا في ذاتِ اللهِ.
2 قَبلَ خَلقِ الكَونِ كانَ كَلِمةُ اللهِ الأزليّ عِندَ اللهِ.
3 وبِهِ أبدَعَ اللهُ كُلَّ شَيءٍ في الكَونِ
فلا شَيءَ مَوجودٌ بلا كَلمةِ اللهِ.
4 فيه كانَتِ الحَياةُ، فأنارَت الحَياةُ كُلَّ البَشَر.
5 ولم يَزَل نورُها مُشِعًّا في الظّلامِ
لأنّ الظّلامَ لا يَستَطيعُ حَجبَ النُّور.

6 بَعَثَ اللهُ رَسولاً اسمُهُ يَحيى (عليه السّلام)
7 جاءَ لِيُخبِرَ النّاسَ بِصِفاتِ ذلِكَ النُّورِ
ويَقودَ النّاسَ إلى طَريقِ الإيمانِ بذلِكَ النُّور.

8 لم يَكُن هو ذلكَ النّور، أو ذلِكَ الكلِمة،
بل جاءَ ليَشهَدَ بِهِ ولهُ ويُشهِدَ عليهِ الخَلائقَ.
9 فنُورُ الحَقّ، أي كَلِمةُ اللهِ المُنيرُ قُلوبَ جَميعِ الخَلائِقِ
كانَ يُوشِكُ أن يَظهَرَ في الدُّنيا.

10 وكانَ في الدُّنيا، وبِهِ تَكوَّنَ العالمُ،
ولكنّ أهلَ العالَمِ لم يُدرِكوا حَقيقةَ الكَلِمة
عِندَما استحَالَ إلى كَينونةِ عيسى (سلامُهُ علينا)، ولم يَعرِفوهُ.
11 جاءَ إلى شَعبِهِ، إلاّ أنّ شَعبَهُ لم يَحفَلْ بِهِ.
12 وأمّا الّذينَ استَجابوا لهُ وآمَنوا بِهِ
فقد مَنَحَهُمُ الحَقَّ في أن يَكونوا عِيالَ اللهِ.
13 ولَيسَت هذِهِ البُنُوَّةُ ذاتَ طَبيعةٍ بَشَريّةٍ،
بل إنّ اللهَ هو مَن أسبَغَ عليهِم تِلكَ الصِّفةَ
فجَعَلَهُم عِيالَهُ.(١)

14 واستحالَ الكَلِمةُ إلى كائنٍ بَشَريٍّ
وعاشَ في الدُّنيا بَينَنا
ورأينا عَظَمةَ شَأنِهِ،
الّتي تَتَناسَبُ مَعَ مَكانَتِهِ بما أنّهُ الابنُ الرُّوحيُّ الفَريدُ للهِ(٢) الأبِ الرَّحيمِ،

---

(١) كلمة "عيال" هنا كناية تعبّر عن اختيار الله لهؤلاء الأشخاص ليكونوا من ضمن أمته، لكن ليس على أساس عنصري أو تناسلي.

(٢) إنّ كلمة "الابن الرّوحيّ له" هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجم عادة بكلمة "ابنه". ولكن لا علاقة لمعناه مطلقا في لغة الوحي اليونانية بعملية الإنجاب المألوفة. معاذ الله! بل هو لقب مجازي للملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود، فهذا اللقب يشير إلى الصلة الحميمة بين الله والمسيح، وعلى هذا الأساس وعلى أساس طاعته لله يمنح المسيح أتباعه الحق ليكونوا من أهل بيت الله. وهذا اللقب يعني أيضا أنّه المسيح المنتظر الذي يحكم المملكة الأبدية التي وعد الله بها عباده الصالحين. وهو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت إنسانًا بقوّة روحه تعالى. وكلمة الله، حسب الإنجيل، هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نفهم السلطة

المُجَسِّدِ لرَحمةِ اللهِ الفائقةِ وفيهِ تَحقيقٌ لوَعدِ اللهِ الحَقِّ وفَضلِهِ.
15 وجاءَ النَّبيُّ يَحيى (عليه السّلام) مُبَشِّرًا بقُدومِ هذا الرَّسولِ،
مُجاهرًا في مَنِ اجتَمَعوا حَولَهُ:
"هَذا هو الَّذي أنبأتُكُم بقُدومِهِ،
عِندَما قُلتُ لكُم إنّهُ أعظَمُ مِنّي قَدرًا،
لأنّهُ كانَ مَوجودًا قَبلَ أن أولَدَ".

16 ونحنُ جَميعًا نِلنَا البَرَكاتِ مِن فَيضِ فَضلِهِ
إضافةً إلى ما كُنّا قد نِلناهُ مِن بَرَكاتٍ في القَديمِ.
17 فلئن جاءَ النَّبيُّ موسى (عليه السّلام) بالتَّوراةِ،
فإنّ رَحمةَ اللهِ وأَمانتَهُ في تَحقيقِ كُلِّ وُعُودِهِ
قد حَصَلنا عليهِما مِن خِلالِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ (سلامُهُ علينا).
18 فما مِن أحَدٍ حَظِيَ برُؤيَةِ اللهِ قَطعًا،
أمّا الابنُ الرُّوحيُّ الفَريدُ لهُ تَعالى،
المُقَرَّبُ للهِ الأبِ الصَّمَد،
فقد جاءَ ليُعرِّفَنا بذاتِهِ تَعالى.

شهادة النّبيّ يحيى (عليه السّلام) لعيسى (سلامُهُ علينا)

19 وبَعَثَ قادةُ اليَهودِ في القُدسِ ببَعضِ الأحْبارِ وبَعضِ خُدّامِ[٣] بَيتِ اللهِ إلى النَّبيِّ يَحيى (عليه السّلام) ليَسألوهُ مَن يَكونُ. 20 فلم يَتَرَدَّدْ في الإجابةِ، بل شَهِدَ لهُم شَهادةً صَريحةً: "أنا لَستُ المَسيحَ المُنتَظَرَ".[٤] 21 فتابَعوا سائلينَ:

التي يمتلكها السيد المسيح (سلامه علينا) على بيت الله وهي سلطة شبيهة بسلطة الابن البكر عند الناس. وترد قصة ظهور سيدنا عيسى لبولس في سيرة الحواريين (أو أعمال الرسل) 9: 1-22؛ 22: 3-16؛ و26: 9-18.

[٣] وهم اللاّويون، أو رجال الدين المنحدرون من سلالة لاوي بن يعقوب (عليه السّلام)، الذين خصّهم الله بقيادة العبادة في الحرم الشريف وبخدمة الأحبار وضبط النظام في الحرم.

[٤] "المسيح" وهو لقب يعني (الممسوح بالزيت) ويعني أيضًا (المختار). فقد كان الناس في زمن بني يعقوب يسكبون الزيت على رأس الرجل الذي كان مختارًا لخدمة الله ولخدمة أمّة بني

"فمَن تَكونُ إذن؟! أأنتَ النَّبيُّ إلياسُ وقد عادَ مِن غَيبتِهِ؟"[٥] فأجابَهُم نافيًا ذلِكَ. ثُمَّ أضافوا: "أفأنتَ ذاكَ النَّبيُّ الّذي وَعَدَ بِهِ موسى؟"[٦] فأجابَهُم نافِيًا، [22] لكنّهُم ألَحّوا في السُّؤالِ قائلينَ: "قُل لنا مَن أنتَ حتّى نُجيبَ مَن أرسَلونا. ماذا تَقولُ عَن نَفسِكَ؟" [23] فأجابَهُم: "أنا مَن تَحَدَّثَ عَنهُ النَّبيُّ أَشَعيا بقولِهِ: صَوتٌ مُنادٍ في البَرارِي: مَهِّدُوا الطَّريقَ أمامَ مَولاكُم".[٧] [24] ثُمَّ سألَهُ بَعضُ المُتَشدِّدينَ[٨] مِمَّن كانوا مِن بَينَ المَبعوثِينَ: [25] "إن لم تَكُنِ المَسيحَ المُنتَظَرَ، ولا النّبيَّ إلياس، ولا حتّى النّبيَّ الّذي وَعَدَ بِهِ سَيِّدُنا موسى، فبأيِّ حقٍّ تَدعُو

يعقوب (بني إسرائيل). وعلى سبيل المثال كان الأحبارُ والملوك يُدهنون بالزّيت، وأيضا الأنبياء أحيانا. وورد في التوراة كما في كتب الأنبياء أنّ من يُدعى بالمسيح هو من يكون في الغالب الملك المختار من سلالة النبي داود (عليه السّلام). وجاء واضحًا في عدد من الأناشيد في الزبور (أو المزامير) حول ملك بني يعقوب أنه بصفته مختارا من الله أو "ابن الله"، سيكون مسؤولا عن إقامة عدالة الله وسلامه على الأرض. وهذا يعني إنصاف المقهورين والمظلومين، وخاصة الفقراء منهم. ولقد وعد الله النبي داود الملك أن يكون الملك من سلالته دائمًا. وكانت نهاية مملكة النبي داود وسلالته بتدمير مدينة القدس في عام 586 ق.م. وقد توقّع بنو يعقوب أن يستمرّ الله في وعده لهم بحفظ المملكة لسلالة داود من خلال جعل المسيح، وهو في نظرهم حفيد النبي داود، ملكا يقيم العدالة على الأرض إلى الأبد.

(٥) والنبي إلياس (عليه السّلام) الذي عاش أكثر من 800 سنة ق.م. لم يمت بل رفعته إلى السماء زوبعة. وكان يعتبر نبيًا غائبًا سيعود من غيبته قبل ظهور المسيح المنتظر، وذلك بناءً على نبوءة أنبأ عنها النبي ملاكي (عليه السّلام).

(٦) تحدّث النبي موسى (عليه السّلام) في إحدى النبوءات عن نبي آتٍ من سلالة بني يعقوب سوف يتحدّث مثله بكلام الله (التوراة، سفر التثنية 18: 15-18) وكان اليهود منذ القدم يعتقدون أنّ ذلك إشارة لشخصٍ آتٍ قُبَيل قيام الساعة. ولكنّ السامريين كانوا يعتقدون بأنّ هذا النبي هو نفسه المسيح المنتظر.

(٧) كان النبي أشعيا (عليه السّلام) يدعو الناس ليهيّئوا قلوبهم للعودة إلى الله، مقارنًا ذلك بما يفعله القرويُّون عندما يُهيّئون الطريق لقدوم ملك كبير عليهم.

(٨) كان المتشدِّدون (أي الفريسيون) جماعة من اليهود. ومعناها بالعبرية "المنشقّون" وكانوا يريدون تجديد الدين اليهودي وحمايته من خلال دفْع جميع أفراد الشعب اليهودي - وعلى نحو صارم- إلى اتّباعِ تقاليدَ استندت على شرائع التوراة خاصة القوانين التي تتعلّق بيوم السّبت، والصيام، والتطهّر من الطعام النجس. وكانوا يتشدّدون في ممارسة هذه التقاليد وبذلك يتميّزون عن بقية القوم. وقد اتّهمهم السيد المسيح أنّه التزامهم بهذه الشرائع التي استنبطوها من التوراة جعلهم يزيغون عن مقاصد شرع الله (انظر مرقس 7: 1-13).

النَّاسَ إلى التَّطَهُّرِ بالماءِ؟!"[٩] 26 فأجابَهُم: "ها أنتُم ترَونَني أُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، لكِن هُناكَ بَينَكُم مَن لا تَعرفونَهُ، 27 الآتي مِن بَعدي والّذي سيَكونُ لهُ شأنٌ عَظيمٌ حتّى إنّني لا أستَحِقُّ أن أكونَ عَبدَهُ وأفُكَّ رِباطَ حِذائِهِ".[١] 28 جَرَى كُلُّ هذا في قَريةِ بَيتِ عَنْيا في شَرقِ نَهرِ الأُردُنّ[٢] حَيثُ كانَ يَحيى (عليه السّلام) يُطَهِّرُ النّاسَ في ماءِ ذلِكَ النَّهر.

عيسى (سلامُهُ علينا) يحمل الفداء

29 وفي اليَومِ التّالي رأى النَّبيُّ يَحيى (عليه السّلام) سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) مُقبِلاً عليهِ فقالَ لِمَن حَولَهُ: "اُنظُروا، هوذا الذِّبحُ العَظيمُ المُرسَلُ مِن اللهِ ليُزيلَ عن البَشَرِ ذُنوبَهُم، 30 هوذا مَن حَدَّثتُكُم عَنهُ عِندَما قلتُ: يَجيءُ مِن بَعدِي مَن هو أرفَعُ مِنّي شأنًا، فهو المَوجودُ قَبلي،[٣] 31 وإنّني لم أكُن أعرِفُ مَن سيَكونُ، ولكنَّ اللهَ أرسَلَنِي لِتَطهيرِ النّاسِ بالماءِ في انتِظارِ أن يَكشِفَ هويّتَهُ لي، حتّى أكشِفَها لِبَني يَعقوبَ".[٤]

32 وتابَعَ النَّبيُّ يَحيى (عليه السّلام) شَهادتَهُ قائلاً: "رأيتُ هُبوطَ رُوحِ اللهِ مِنَ السّماءِ كحَمامةٍ لتَستقِرَّ على عِيسَى (سلامُهُ علينا)، 33 ولم أكُن أدري أنّ

---

[٩] كان النبي يحيى (عليه السّلام) يدعو اليهود إلى التطهّر بالماء كما يتطهّر الوثنيّون عند دخولهم في الديانة اليهودية، وهذا اتّهام ضمني بأنهم-أي اليهود آنذاك- لا يطبّقون تعاليم دينهم لذا عليهم الابتداء من جديد والرجوع إلى الله. وكان هذا بمثابة صدمة كبيرة لليهود.

[١] كانت مُهمّة ربط الحذاء وغسل القدمَين من عمل العبيد. وكان العبد يحظى بشرف خدمة سيده خاصّة إذا كان سيده ذا شأن مرموق في المجتمع، وهنا يعترف النبي يحيى أنّه لا يستحقّ شرف خدمة السيد المسيح.

[٢] وقرية بيت عنيا تلك ليست بقرية بيت عنيا التي على سفح جبل الزيتون، والتي عاش فيها لعازر، ومرثا ومريم أتباع سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا).

[٣] كانت هناك علاقة قربى بين النبي يحيى (عليه السّلام) وسيدنا عيسى (سلامُهُ علينا). ولأن يحيى كان يكبر عيسى بستّة أشهر، فهذا كان يعني أنّه أرفع منه قدرًا في نظر الناس. إلاّ أنّ النبي يحيى يشير هنا إلى أنّ سيدنا عيسى يستحقّ أن يكون أرفع شأنًا منه لأنّه كلمة الله الأزلية الموجودة قبل ولادة النبي يحيى.

[٤] تقبّلُ الناس التطهّر على يد النبي يحيى دليلٌ على أنّهم مستعدّون للإيمان بالمسيح المنتظر الآتي من بعده. وعليهم أن يتوبوا عن خطاياهم وذنوبهم كشرط للتطهّر بالماء.

هذا الشَّخصَ هو المَسيحُ المُنقِذُ، إلاّ أنّ اللهَ الّذي أرسَلَني لِتَطهيرِ النّاسِ بالماءِ أوحَى إليّ: "عِندَما تَرى رُوحَ اللهِ تَنزِلُ على شَخصٍ وتَحِلُّ فيهِ، فاعلَم أنّهُ مَن سيُطَهِّرُ النّاسِ بِرُوحي المُقَدَّسة". [34] وقد تَحَقّقتُ مِن ذلِكَ بنَفسي، لذا أشهَدُ أنّهُ صَفيّ اللهِ". (٥)

أتباعه (سلامُهُ علينا) الأوّلون

[35] وفي اليومِ الثّاني كانَ النَّبيُّ يَحيى (عليه السّلام) واقِفًا في المَكانَ ذاتِهِ مَعَ اثنينِ مِن أتباعِهِ، [36] فرأى سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) مارًّا فقالَ: "انظرُوا! هذا هو الذِّبحُ العَظيم!" [37] فسَمِعَ تابِعاهُ كَلامَهُ وسارا خَلفَ عِيسَى (سلامُهُ علينا)، [38] والتَفَتَ سَيِّدُنا عِيسَى (سلامُهُ علينا) ورآهُما يَقتَفِيانِ أثرَهُ فسألَهُما: "ما خَطبُكُما؟" فأجاباهُ: "يا سَيِّدَنا، أخبِرنا أينَ تُقيمُ؟" [39] فأجابَهُما قائلاً: "تَعاليا وانظُرا". وهكذا فَعَلا، فعَرَفا مَكانَ إقامتِهِ (سلامُهُ علينا)، وقد كانَ الوَقتُ نَحوَ الرّابعةِ عَصرًا، وبَقِيا مَعَهُ في ذلِكَ اليومِ. [40] وكانَ أَنْدَرَاوس (وهو أخُ سمْعانَ بُطرس) أحَدَ التّابعَيْنِ اللّذَينِ كانا قد سَمِعا ما أخبَرَ بِهِ النَّبيُّ يَحيى (عليه السّلام)، وتَبِعَا سَيّدَنا عِيسَى (سلامُهُ علينا). [41] وراحَ أَندَرَاوس إلى أخيهِ بُطرُس ليُخبِرَهُ قائلاً: "لقد تَعَرَّفنا على المَسيحِ مُنقذِ قَومِنا!" [42] وأخَذَهُ إليهِ. وعِندَما وَصَلا إليهِ حَدَّقَ إلى بُطرُسَ وقالَ لهُ: "اسمُكَ سَمعانُ بنُ يوحَنّا، إلاّ أنّني سأدعُوكَ بُطرُسَ (أي صَخر)". (٦)

[43] وعَزَمَ سَيّدُنا عِيسَى (سلامُهُ علينا) في اليومِ التّالي على الذَّهابِ إلى مِنطقةِ الجَليل، فصادَفَ شَخصًا اسمُهُ فِيلِيبَ، فقالَ لهُ: "تَعالَ وكُن مِن أتباعي". [44] وقد كانَ فيليبُ هذا مِن قَريةِ بَيتِ صَيدا، وهي قَريَةُ أندراوسَ وبُطرُسَ الصَّخر أيضًا. [45] ومَضى فِيليبُ فوَجَدَ نَثْنائِيل فأخبَرَهُ قائلاً: "قد تَعَرَّفنا بالمَسيحِ المُنتَظَرِ الّذي أخبَرَ عَنهُ النَّبيُّ موسى في التّوراةِ، وكذلِكَ

---

(٥) أشارت بعض المخطوطات القديمة إلى معنى صفيّ الله، بينما أشارت نصوص أخرى إلى المصطلح الذي تُرجم تاريخيّا بمصطلح "ابن الله"، ولكن يبدو أنّ القراءة الأصلية تشير إلى أنّه صفيّ الله.

(٦) هذا اللقب هو "بطرس" باللغة اليونانية و"صفا" باللغة الآرامية ومعناه "صخر".

الأنبياءُ في كُتُبِهِم، إنّهُ عِيسَى بنُ يوسف مِن قَريةِ النّاصرة.[٧] 46 " فقالَ نَثْنائِيل: "أتَقولُ مِن النّاصرة؟! وهل مِن شَيءٍ صالحٍ يأتي مِن النّاصرة؟" فأجابَهُ فِيليبُ: "تَعالَ وانظُر". 47 وعِندَما أقبلا على سَيِّدِنا عِيسَى (سلامُهُ علينا)، نَظَرَ إليهِ وقالَ: "حقًّا، هذا رَجُلٌ مِن بَني يَعقوبَ صادقٌ غَيرُ مُخَادِع". 48 فقالَ نَثْنائِيل: "وكَيفَ عَرَفتَني؟!" فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "قد رَأيتُكَ جالسًا تَحتَ شَجَرةِ التِّينِ قَبلَ أن يَدعُوكَ فِيليبُ". 49 فقالَ نَثنائيلُ: "أيا مَولانا، إنَّكَ حقًّا الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، أنتَ المَلِكُ الّذي يَنتَظِرُهُ بَنو يَعقوبَ!" 50 فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "هل آمنتَ بي لمُجَرّدِ أن أخبَرتُكَ أنّني رأيتُكَ تَحتَ شَجَرةِ التِّينِ؟ سَوف تَشهَدُ ما هو أعظَمُ مِن ذلِكَ وأبهَى! 51 الحقَّ أقولُ لكُم، سترَونَ السَّماءَ في رُؤيا وقد انشَقَّت ومَلائكةَ اللهِ صاعدةٌ هابِطةٌ على سَيّدِ البَشَر".[٨]

2

الفصل الثّاني

العرس ومعجزة في بلدة قانا

1 وفي اليومِ الثّالثِ بَعدَ اللِّقاءِ الأوّلِ لسَيِّدِنا عِيسَى بحَواريِّيهِ، أُقِيم عُرسٌ في بَلدةِ قانا في الجَليلِ، وكانَت مَريمُ أُمُّ عِيسَى (عليها السّلام) هُناكَ، 2 وسَيِّدُنا عِيسَى (سلامُهُ علينا) وأتباعُهُ أيضًا مِن بَينَ المَدعوّينَ. 3 وقد نَفِدَ الشَّرابُ خِلالَ الاحتِفالاتِ فقالَت مَريمُ (عليها السّلام) لسَيِّدِنا عيسى: "نَفِدَ الشَّرابُ

---

[٧] كانت هوية المولود الشرعية في الشرق تعتمد على الأب (وليس على الأم). وهذا دلالة على أنّ يوسف كان وليّ أمر سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا).

[٨] يشير سيدنا عيسى هنا (سلامُهُ علينا) إلى رؤيا للنبي يعقوب (عليه السّلام) رأى فيها سلّمًا يصل السماء بالأرض والملائكة صاعدين هابطين عليه. (التوراة، سفر التكوين 28: 12). لقب "سيد البشر" هو اللقب المفضّل الذي كان سيدنا عيسى يحبّ إطلاقه على نفسه. ولمزيد من المعلومات حول هذا اللقب، انظر فهرس المصطلحات في نهاية هذا الكتاب.

عِندَ أهلِ العُرس".[٩] [4] فأجابَها بقولِهِ: "أيا أُمّاهُ، لِمَ تُريدينَ مِنّي أن أتَدَخّلَ؟ لم يَحِنِ الوَقتُ المُناسِبُ لي بَعدُ!" [5] إلاّ أنّها أدرَكَت أنّهُ سيُلبّي ولا شَكَّ طَلَبَها فأمَرَت الخَدَمَ قائلةً: "اعمَلوا ما يُشيرُ بِهِ عليكُم". [6] وكانَت هُناكَ سِتُّ جِرارٍ حَجَريّةٍ سِعَةُ كُلِّ واحدةٍ مِنها ما بَينَ مِكيالَيْنِ أو ثلاثةٍ مِن الماءِ،[١] اعتادَ اليَهودُ التَّطهُّرَ بها حَسَبَ شَريعتِهِم، [7] فتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى الخَدَمِ بقَولِهِ: "اِملَؤوا الجِرارَ بالماءِ" ففَعَلوا حتّى فاضَت. [8] ثُمّ تابَعَ قائلاً: "اغرِفوا مِنها وقَدِّموا للمَسؤولِ عَن الوَليمةِ". فقَدَّمُوها لهُ وقد تَحَوَّلَت شَرابًا. [9] فلمّا تَذَوّقَهُ، وهو يَجهَلُ مَصدَرَهُ، تَحَيَّرَ في الأمرِ، إلاّ أنّ الخَدَمَ أدرَكوا سِرَّهُ. [10] فنادى مَسؤولُ الوَليمةِ العَريسَ وقالَ لهُ: "كُلُّ النّاسِ يُقدِّمُونَ جَيِّدَ الشَّرابِ أوّلاً ثُمّ ما دونَهُ جَودةً بَعدَ أن يَكونَ قد أخَذَ مِنَ الحاضِرينَ مأخَذَهُ. أمّا أنتَ فقد خَبّأتَ الشَّرابَ الجَيّدَ إلى الآن".[٢] [11] وقد كانَت تِلكَ المُعجِزةُ في قَريةِ قانا أُولى مُعجِزاتِ سَيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) الّتي أظهَرَتْ مَقامَهُ الرَّفيعَ عِندَ اللهِ، فآمَنَ أتباعُهُ بأنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ. [12] ثُمّ تَوَجَّهَ عيسى (سلامُهُ علينا) بَعدَ العُرسِ إلى قَريةِ كَفْرَناحوم برِفقَةِ مَريمَ وإخوتِهِ وأتباعِهِ،

---

[٩] كان نقص الشراب في احتفال العرس عيبا كبيرا. فإذا نفد الشراب ليلة العرس أو لم يكن هناك فائض منه يوزّع على الحاضرين على مدى سبعة أيام كما كان شائعًا، أصبح صاحب العرس محلّ سخرية القوم لسنوات. ولقد كان سكن النساء أثناء الحفل بجانب مكان تخزين الشراب، لذلك علمت مريم (عليها السلام) بنقص الشراب قبل وصول سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) مع بقيّة الرجال. وكلماتها هنا تشير إلى أنّ على سيدنا عيسى تقديم شيء، إذ كان من العُرف أن يقدّم أصدقاء العريس هداياهم لمساعدته في تغطية تكاليف العرس. والعريس هنا بحاجة إلى مزيد من الهدايا للنقص الحاصل في كميّة الشراب.

[١] أيّ ما يعادل تقريبا ثمانين إلى مئة وعشرين لترًا.

[٢] لم يكن تخمير عصير العنب، في ذلك الوقت، يجعل عصير العنب المخمّر مسكرا إلى الدرجة التي هو عليها اليوم، حيث نسبة الكحول فيه كبيرة. ففي ذلك الوقت، كانت نسبة الكحول في عصير العنب المخمّر ضئيلة (نظرًا لعدم وجود الطرق الاصطناعية في التخمير). هذا إضافةً إلى أنّ عصير العنب المخمّر كان يُخلط بكميّة كبيرة من الماء التي تزيد من تقليل نسبة الكحول فيه. وهذا يعني أنّ من يتناول ذلك الشراب لا يَسكر، إلاّ بعد شرب كميّة كبيرة منه. وكان العُرف يقتضي تقديم الشراب الجيّد في بداية تلك الأيّام والأقل جودةً في نهايتها حتّى لا يستطيع أحد التمييز بين الصنفين.

وفيها أقامُوا أيّامًا قليلةً.

عيسى (سلامُهُ علينا) يطرد التّجار من حرم بيت الله

13 ثُمَّ مَعَ اقتِرابِ عِيدِ الفِصْحِ اليَهوديّ صَعِدَ إلى المَدينةِ المُقدَّسةِ، وتَوَجَّهَ إلى حَرَمِ بَيتِ اللهِ. 14 وهُناكَ وَجَدَ بَعضَ النّاسِ يَعرِضونَ البَقَرَ والغَنَمَ والحَمامَ للبَيعِ بغَرَضِ تَقديمِها ذَبائحَ وقَرابين، وقد جَلَسَ آخرُونَ لتَصريفِ العُملاتِ.(٣) 15 فما كانَ مِنهُ (سلامُهُ علينا) إلاّ أن صَنَعَ سَوطًا مِنَ الحِبالِ وطَرَدَهُم ومَواشيَهُم مِنَ الحَرَمِ الشَّريفِ، ثُمَّ بَعثَرَ نُقُودَ الصَّيارِفةِ وقَلَبَ مَناضِدَهُم، 16 وذَهَبَ إلى تُجّارِ الحَمامِ وقالَ لهُم: "غَادِروا هذا المَكانَ مَعَ طيُورِكم! أهكذا تُحَوّلونَ بَيتَ اللهِ أبي الصَّمَدِ إلى سُوقٍ؟!" 17 هُنا تَذَكَّرَ أتباعُهُ ما وَرَدَ في الزَّبُور: "الغَيرةُ على بَيتِكَ يا اللهُ تَشتَعِلُ في قَلبي مِثلَ نارٍ". 18 فقالَ لهُ رُؤساءُ اليَهودِ: "هلاّ تُظهِرْ لنا مُعجِزةً تُثبِتُ مِن خِلالِها بأنّ لَديكَ السُّلطةَ مِنَ اللهِ على فِعلِ ما فَعَلتَ!" 19 فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): قُوموا بهَدمِ هذا الهَيكلِ فَأعِيدُ بِناءَهُ في ثَلاثةِ أيّامٍ". 20 فرَدّوا عليهِ بقولِهِم: "لقد شُيِّدَ هذا البِناءُ في سِتّةٍ وأربعينَ عامًا، فكَيفَ تُعيدُ بِناءَهُ أنتَ في ثَلاثةِ أيّامٍ؟" 21 إلاّ أنّ سَيِّدَنا عِيسَى (سلامُهُ علينا) كانَ يَعني بالهَيكلِ جَسَدَهُ، وبإعادةِ البِناءِ انبِعاثَهُ مِنَ الموتِ. 22 وفيما بَعدَ، عِندَما انبَعَثَ (سلامُهُ علينا) مِن موتِهِ ورُفِعَ، تَذَكَّرَ أتباعُهُ ما قالَهُ عن الهَيكلِ، فازدادوا إيمانًا بكِتابِ اللهِ وبتَعاليمِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا).

23 وفي القُدسِ، أثناءَ عِيدِ الفِصحِ، آمَنَ الكَثيرونَ مِمَّن شَهِدوا مُعجزاتِهِ، بأنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ. 24 إلاّ أنّهُ لَم يَكُن آمِنًا على نفسِهِ مَعَهُم، لأنّهُ كانَ يَعرِفُهُم جَميعًا وما يُضمِرونَ، 25 فهو لم يَكُن بحاجةٍ إلى مَن يُطلِعُهُ على

---

(٣) كانت تُقدّم قطعان البقر والغنم وأزواج الحمام أضحيات في حرم بيت الله. وكان من المفترض أن تكون موجودة في ذلك المكان عوض أن يأتي بها القادمون من مكانٍ بعيد معهم. وكان مكان تجّار المواشي يقع فيما مضى خارج الحرم على منحدر جبل الزيتون. إلاّ أنّهم انتقلوا فيما بعد إلى الحرم خدمةً للقادمين لتقديم الأضحيات. وأمّا الصيارفة، فكان عملهم منحصرًا في تبديل العملات الرومانية واليونانية بالعملات اليهودية، وذلك لوجود رسوم وجوه على تلك العملات، فقد كان محرّمًا تقديمها كصدقة في الحرم الشريف لأنّها ترمز إلى الوثنية.

دَخيلةِ الإنسانِ.

3

الفصل الثّالث

نِقوديموس

[1-2] وذاتَ يومٍ، جاءَ رَجُلٌ مِن قادةِ اليَهودِ إلى سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) تَحتَ جُنحِ اللّيلِ، وقد كانَ يَنتمي إلى طائفةِ المُتشدِّدينَ، واسمُهُ نِقوديموسُ فقالَ لهُ: "أيُّها المُعلِّم، نَحنُ نَعلَمُ أنّ اللهَ أرسَلَكَ إلينا مُرشِدًا، إذ لَيسَ بمَقدورِ أحَدٍ القيامُ بتِلكَ المُعجِزاتِ الّتي تَقومُ بها إن لم يَكُن مؤيَّدًا مِن عِندِ اللهِ". [3] فأجابَهُ قائلاً: "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكَ، إن لم يُعَد خَلقُ الإنسانِ مِن جَديدٍ، فلن يَكونَ بمَقدورِهِ رؤيةُ المَملكةِ الرَّبّانيّة". (٤) [4] فقالَ نِقوديموسُ بدَهشةٍ: "وكَيفَ يولِدُ الإنسانُ مِن جَديدٍ بَعدَ أن بَلَغَ مِنَ العُمرِ عِتيًّا؟ أيَكونُ بمَقدورِهِ العَودةُ إلى بَطنِ أُمِّهِ ليُخلَقَ ثانيةً؟" [5] فرَدَّ عليهِ عِيسَى (سلامُهُ علينا) بقَولِهِ: "أقولُ لكَ الحقَّ اليَقينَ، إن لم يُخلَقِ الإنسانُ مِنَ الماءِ ومِن رُوحِ اللهِ، فلن يَكون باستِطاعتِهِ الدُّخولُ إلى مَملكتِهِ الّتي وُعِدَ بها. (٥) [6] فالإنسانُ يَملِكُ طَبيعتَهُ

---

(٤) أثاب الله تعالى النبي داود (عليه السّلام) على طاعته ووعَدَه بأن يكون الحاكمُ على بني يعقوب من ذريّته دائمًا. و قد كانت نهاية مملكة داود وعقبه عند خراب القدس في العام 586 ق.م.، إلاّ أن بعض الناس كانوا يأملون أن تستعيد سلالة داود تلك المملكة. وقد بيّن الله عزّ وجلّ للنبي دانيال (عليه السّلام) بأنّه سيأتي يوم يتمّ فيه تأسيسُ تلك المملكة التي سوف تضمّ جميع البشر وتملأ الأرض. إلاّ أنّ اليهود كان لهم فهْمٌ قومي متعصّب لعبارة "مملكة الله"، لذلك وضّح السيد المسيح ضمن تعاليمه للناس أنّ اهتمام الله شامل جميع البشر على الأرض، لا قومًا منهم مخصوصين.

(٥) كان على الوثنيين المقبلين على الدين اليهودي التطهّر بالماء وهذا بسبب رجس الوثنية. إذ كان المتطهّر منهم يعتبر كأنّه خُلق من جديد. ولقد عنى، هنا، سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) ما قاله النبي يحيى (عليه السّلام) من أنّ على هؤلاء اليهود أن يتوبوا توبة نصوحًا ويعملوا الصالحات، وألاّ يظنوا أنّهم صالحون لمجرّد كونهم من ذريّة النبي إبراهيم (عليه السّلام)، ولا يتوهّموا أنّ التوبة لا تجب عليهم حتّى يكونوا من أمّة الله. من هنا، يمكن القول إنّ ما قصد إليه سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) هو الولادة الروحية عن طريق التوبة، لا الولادة الجسدية.

البَشَريّةَ بالوِلادةِ مِن أُمٍّ وأبٍ، ولكن لا يَكونُ باستِطاعتِهِ تَجديدُ رُوحِهِ إلاّ بنَفحةٍ مِن رُوحِ اللهِ. [7] ولا تَستَغرِبُنَّ قولي هذا، فعلى أرواحِكُم أن تَتَجَدّدَ، [8] فكَما أنّكَ عِندَ سَماعِكَ صَوتَ الرِّياحِ لا تَدرِي مِن أيِّ جِهةٍ تَهُبُّ ولا أيّ جِهةٍ تَذهَبُ، كذلِكَ لَيسَ باستَطاعتِكَ تَفسيرُ كَيفَ خُلِقَ مِن جَديدٍ هؤلاء الّذينَ سَرَتْ داخلَهُم نَفَحاتٌ مِن رُوحِ اللهِ".

[9] فقالَ نِقوديموسُ: "فكَيفَ يُمكِنُ لهذِهِ الأُمورِ أن تَحدُثَ للإنسانِ؟" [10] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "أنتَ مِن بَينِ مُرشِدي بَني يَعقوبَ، فكَيفَ تَجهَلُ هذِهِ الأُمورَ؟ [11] إنّها لكَلِمةُ حقٍّ أقولُها لكَ: إنّنا نَتَكَلّمُ بما عَلِمنا، ونَشهَدُ بما رأينا، ولكنّكُم تَرفُضونَ مِنّا البَلاغَ المُبينَ. [12] فإن كُنتُ قد حَدَّثتُكُم في أُمورِ الدُّنيا ولم تُعيروا كَلامي اهتمامًا، فكَيفَ تُصدِّقونَني إذا ما حَدَّثتُكُم في أُمور السّماء؟! [13] فما صَعِدَ أحَدٌ إلى السَّماءِ فيُخبِرَ عنها، ولكنّ سَيِّدَ البَشَر أتى مِن السَّماءِ، وهو الّذي يَستَطيعُ أن يُحَدِّثَكُم عنها.

[14] فكَما رَفَعَ النّبيُّ موسى الحيّةَ في الصَّحراءِ على خَشَبةٍ،(٦) كذلِكَ لا بُدَّ أن يُرفَعَ سَيِّدُ البَشَرِ على خَشَبةٍ، [15] حتّى يَنالَ كُلُّ مَن يؤمِنُ بِهِ نَصيبَهُ في جَنّةِ الخُلدِ. [16] لقد أحَبَّ اللهُ كُلَّ البَشَر حتّى إنّهُ ضَحّى بالابنِ الرُّوحيِّ الفَريدِ لهُ تَعالى فِداءً لهُم، فلا خَوفَ على المؤمنينَ بِهِ مِن الهَلاكِ، لأنّ مَصيرَهُم دارُ الخُلدِ. [17] ولم يُرسِلِ اللهُ الابنَ الرُّوحيَّ لهُ تَعالى إلى النّاسِ إلاّ مُنقِذًا ولم يُرسِلهُ رَقيبًا مُعاقِبًا، [18] فمَن يؤمِنُ بِهِ لهُ النّجاةُ مِن عِقابِ اللهِ، أمّا مَن يَجحَدُ بِهِ فقد قَضى أمرُ الله بعِقابِهِ، لأنّهُ رَفَضَ الابنَ الرُّوحيَّ الفَريدَ لهُ تَعالى.

[19] وهذا هو حُكمُ اللهِ: أشرَقَ نورُ اللهِ على الدُّنيا، إلاّ أنّ أهلَ الدُّنيا مَيّالونَ إلى الشَّيطانِ بأعمالِهِم، ومُعرِضونَ عن نورِ اللهِ. إنّهُم يَكرَهُونَ النُّورَ ويَكرَهونَ الخُروجَ مِن الظَّلامِ إليهِ، [20] وذلِكَ لأنّ أعمالَهُم آثمةٌ وهُم يَخشَونَ أن يَكشِفَها النّورُ فيَحُلَّ عليهِم غَضَبٌ مِن اللهِ. [21] وأمّا مَن يَسلُكُ سُبُلَ الحقِّ،

---

(٦) بعد أن أظهر اليهود تذمّرهم مِنَ النبي موسى (عليه السّلام) وربّه في صحراء سيناء، أرسل الله عليهم أفاعي سامّةً عقابًا لهم على جحودهم. فذهبوا إلى موسى (عليه السّلام) يطلبون منه التخلّص من الأفاعي، وبعد طلب المغفرة من الله، أوحى إليه الله أن يصنع حيّة من النحاس، ثم يرفعَها على خشبة. فيأتي كلُّ مَنْ لدغته أفْعًى، فيشْخص ببصره إلى حيّة النحاس، فيَشْفَى.

فإنّهُ يَنجذِبُ إلى النّورِ تِلقائيًا، ويَعلَمُ الجَميعُ أنّهُ إنّما يَعيشُ بطاعةِ اللهِ".

شهادة النّبيّ يحيى لعيسى (سلامُهُ علينا)

22 ثُمَّ تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) مَعَ أتباعِهِ إلى مِنطقةِ يَهوذا،(٧) وأقامَ هُناكَ، ثُمَّ أخَذَ يُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، 23 كَما كانَ النَّبيُّ يَحيى (عليه السّلام) يَفعَلُ في مِنطقةِ عَينِ نُونٍ بالقُربِ مِن ساليمَ، لأنّ المياهَ هُناكَ وافرةٌ، فكانَ النّاسُ يَرتادونَ تِلكَ المِنطقةَ ليُطهِّرَهُم يَحيى (عليه السّلام)، 24 قَبلَ أن يُلقى في السِّجنِ. 25 وتَجادَلَ أتباعُ يَحيى (عليه السّلام) مَعَ أحَدِ اليَهودِ في شأنِ التَّطَهُّرِ بالماءِ، 26 فجاؤوا إلى النَّبيِّ يَحيى قائلينَ: "يا سَيِّدَنا، إنّ ذاكَ الّذي كانَ مَعَكَ على الضِّفّةِ الشّرقيَّةِ مِن نَهرِ الأُردُنّ وشَهِدتَ لهُ بأنّهُ المُنقِذُ المُنتَظَر، قد أصبَحَ مِثلكَ يُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، وأخَذَ الجَميعُ يَتوجّهونَ إليهِ دونَكَ!" 27 فأجابَهُم يَحيى (عليه السّلام) بقولِهِ: "لَيسَ للإنسانِ أن يأخُذَ أيّ امتيازٍ إلاّ إذا وَهَبَهُ اللهُ إيّاهُ. 28 فإنّكُم لتَشهَدونَ لقولي الصَّريحِ إنّني لَستُ المَسيحَ المُنتَظَرَ، وإنّما أنا رَسولٌ يُمَهِّدُ لهُ الطَّريقَ، 29 فالعَروسُ للعَريسِ، والمؤمنُونَ بالمَسيحِ المُنتَظَرِ هم للمَسيحِ المُنتَظَرِ، وما أنا إلاّ في مَقامِ صَديقِ العَريسِ. والصَّديقُ يَفرَحُ بصَديقِهِ إذ يَراهُ ويَسمَعُهُ، وإنّي لأفرَحُ وأنا أشهَدُهُ يَجمَعُ أتباعَهُ حَولَهُ، 30 فلا بُدَّ أن يَلمَعَ نَجمُهُ ويَخبوَ نَجمي بانتهاءِ مُهِمَّتي".

31 "إنّ عِيسَى قادمٌ مِن السَّماءِ وهو العَليُّ على النّاسِ أجمَعينَ. أمّا أنا فأرضيٌّ وإدراكي مَحدودٌ بالأرضِ، فالقادمُ مِن السّماءِ أرفعُ شأنًا مِن كُلِّ النّاسِ. 32 وهو يَشهَدُ بما رأى في السَّماءِ وسَمِعَ، ولكن ما أقلَّ الّذينَ يَتَقَبّلونَ رِسالتِهِ! 33 فأمّا الّذينَ يَتَقَبّلونَها فيَشهَدونَ بأنّ اللهَ حقٌّ. 34 ولقد أرسَلَ اللهُ المَسيحَ ليَتَحَدّثَ بكلامِهِ تَعالى، فهو الّذي غَمَرَهُ اللهُ بفَيضٍ مِن رُوحِهِ تَعالى بلا حُدودٍ. 35 ولأنّ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ يُحِبُّ الابنَ الرُّوحيَّ لهُ تَعالى، فقد جَعَلَ كُلَّ شيءٍ تَحتَ سُلطتِهِ. 36 ومَن يؤمِنْ بالمَسيحِ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ يَحظَ بحياةِ الخُلودِ، أمّا مَن يَجحَدْ ذلِكَ، فلَيسَ لهُ في دارِ الخُلدِ مِن نَصيبٍ بل هو مَحطُّ غَضَبِ اللهِ وسُخطِهِ".

---

(٧) وهي منطقة في وسط فلسطين تحيط بالقدس.

4

الفصل الرّابع

عيسى (سلامُهُ علينا) والمرأة السّامرية

[1] وسَمِعَت طائفةُ المُتَشَدِّدينَ بأنّ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) يَجذِبُ إليهِ عَدَدًا أكبَرَ مِن أتباعِ يَحيى ويُطَهِّرُهُم بالماءِ، [2] رَغمَ أنّ أصحابَ عيسى (سلامُهُ علينا) هُم مَن كانوا يَقومونَ بالتَّطهيرِ نِيابةً عَنهُ. [3] فعَلِمَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بأنّ المُتَشَدِّدينَ اكتَشِفوا ذلِكَ، وغادَرَ مِنطَقَةَ يَهوذا صُحبَةَ أتباعِهِ راجِعًا إلى الجَليلِ، [4] مارًّا في طَريقِ عَودتِهِ بمِنطَقَةِ السّامِرةَ، [5] إلى أن تَوَقَّفَ في بَلدةٍ سامِريّةٍ تُدعَى سُوكَار. وتَقَعُ هذِهِ البَلدةُ بالقُربِ مِن قِطعةِ الأرضِ الّتي فيها بِئرِ النَّبيِّ يَعقوبَ (عليه السّلام)، والّتي وَهَبَها لابنِهِ يوسفَ (عليه السّلام). [6-9] وإذ كانَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) قد أنهَكَهُ السَّفرُ، جَلَسَ وَحدَهُ عِندَ تِلكَ البِئرِ بَعدَ أن ذَهَبَ أتباعُهُ لابتياعِ الطَّعامِ، وكانَ الوقتُ مُنتَصَفَ النّهارِ. حِينئذٍ وَرَدَتْ على البِئرِ امرأةٌ سامِريّةٌ مِن أجلِ الماءِ، فطَلَبَ مِنها سِقايَتَهُ، فأخَذَتِ المَرأةَ الدَّهشةُ لأنّ مِن شأنِ اليَهودِ أن يَتَحاشَوا أدواتِ طَعامِ السّامريّينَ وشَرابِهِم، ولذلِكَ أجابَتْهُ: "كَيفَ تَطلُبُ مِنّي ذلِكَ وأنتَ اليَهوديُّ وأنا السّامريةُ؟!" [10] فأجابَها: "لو أنّكِ عَلِمتِ بما مَنَّ بِهِ اللهُ عليكِ، وعَرِفتِ الّذي يَطلُبُ مِنكِ شُربةَ الماءِ، لطَلَبتِ مِنهُ أنتِ فأعطاكِ ماءً طَهورًا يَبعَثُ فيكِ الخُلدَ". [11] فقالَت لهُ المَرأةُ: "ولكنّكَ يا سَيّدي لا تَملِكُ دَلوًا والبِئرُ عَميقةٌ فأنّى لكَ أن تأتيَني بذاكَ الماءِ؟ [12] لقد وَهَبَ لنا جِدُّنا النَّبيُّ يَعقوبُ هذِهِ البِئرَ، وقد شَرِبَ مِنها هو وأولادُهُ وغَنَمُهُ، فهل تَزعُمُ أنّكَ أعظَمُ مِنهُ وأقدرُ؟ كَيفَ لكَ أن تَعطيَنا ماءً أجودَ مِن الماءِ الّذي وَهَبَهُ لنا؟" [13] فأجابَها سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "كُلُّ مَن يَشرَبُ مِن ماءِ هذِهِ البِئرِ يَعطَشُ ثانيةً، [14] وأمّا مَن يَشرَبُ مِن الماءِ الّذي أمنَحُهُ، فلا يَعطَشُ أبدًا، بل يَظَلُّ هذا الماءُ مُتَدفِّقًا في داخِلِهِ يَبعَثُ فيهِ الخُلودَ". [15] فقالَت لهُ المَرأةُ: "فأَعطِني يا سَيّدي مِن هذا الماءِ، فلا أعطَشَ أبدًا ولا أحتاجَ لوُرُودِ هذِهِ البِئرِ ثانيةً". [16] فأجابَها (سلامُهُ علينا): "اذهبي وعودي رِفقةَ زَوجِكَ".

17 فقالَت: "لَيسَ لي زَوجٌ". فقالَ لها: "أنتِ مُحقّةٌ، لَيسَ لكِ زَوجٌ الآن،
18 وقد كُنتِ على عِصمةِ خَمسةِ أزواجٍ على التّوالي، والّذي تَعيشينَ مَعَهُ
الآن لَيسَ زوجَكِ، وقد صَدَقتِني القَولَ في ذلِكَ". 19 فأجابَتهُ المَرأةُ: "يا
سَيّدي، إنّكَ نَبيٌّ بلا شَكٍّ! 20 لقد عَبَدَ آباؤنا الأوَّلونَ اللهَ هُنا في هذا الجَبَلِ،
جَبَل جِرزيم، أمّا أنتُم مَعشرَ اليَهود فعلامَ تدَّعُونَ أنّ المَكانَ الوحيدَ الّذي
تُقبَلُ فيهِ العِبادةُ هو القُدس؟" 21-24 فقالَ لها (سلامُهُ علينا): "تَيَقَّني يا سَيّدَتي
مِمّا سأقولُ لكِ، سيأتي وَقتٌ لا فَرقَ فيهِ بَينَ أن تَكونَ عِبادةُ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ
في القُدسِ أو على هذا الجَبَلِ أو في أيِّ مَكانٍ آخَرَ! وقد حانَ هذا الوَقتُ
الّذي سيَعبُدُ فيهِ النّاسُ اللهَ ويُمجّدونَهُ في كُلِّ مَكان، وهؤلاء هُمُ الّذينَ
اصطَفاهُمُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ مِن بَينِ عِبادِهِ، وهُمُ الّذينَ يَتَقَرَّبونَ إليهِ تَعالى
مُنقادينَ بروحِهِ وحقِّهِ. ألاَ إنّ اللهَ يَسمَعُ السَّماواتِ والأرضَ وعِبادتُهُ الحقُّ لا
تَقتَصِرُ على مَكانٍ. أنتُم أهلَ السّامرة لا تَعرِفونَ اللهَ الّذي تَعبُدونَهُ حقَّ
مَعرفتِهِ، أمّا نَحنُ بَني يَعقوبَ فنَعرِفُهُ، ومِنَّا يَخرُجُ المُنقِذُ المُنتَظَرُ". 25 وهُنا
قالَت المَرأةُ: "أعلَمُ أنّ المَسيحَ آتٍ، وهو مَن سيُبَيّنُ لنا كُلَّ شيءٍ".
26 فأجابَها: "ألا إنّي أنا المَسيحُ هذا الّذي يُكَلِّمُكِ". 27 ووَصَلَ الحَواريّونَ
فتَعَجَّبوا مِن حَديثِهِ مَعَ امرأةٍ غَريبةٍ. ورَغمَ ذلِكَ، لم يَسألهُ أحَدٌ عن ذلِكَ.
28 وهُنا قامَت المَرأةُ تاركةً جَرّةَ الماءِ، مُنطلِقةً إلى بَلدتِها تُحَدِّثُ النّاسَ قائلةً:
29 "هَلُمّوا إليّ لتَروا رَجُلاً حَدَّثَني بكُلِّ ما جَرى لي مِن أُمور! أتُراهُ المَسيحُ
المُنتَظَر؟!" 30 وانطلقَ كُلُّ مَن سَمِعَ قولَها، متَوَجِّهًا إلى عيسى (سلامُهُ
علينا).
31 وأثناءَ ذلِكَ، كانَ الحَواريّونَ يُلِحُّونَ على سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) أن
يَتَناوَلَ طَعامًا، ولكنّهُ أجابَهُم: 32 "إنّ لي طَعامًا خاصًّا أقتاتُهُ لا تَعلَمونَهُ".
33 فأخَذَ الحَواريُّونَ يَتَساءلونَ: "هل جاءَهُ أحَدٌ بطَعامٍ؟" 34 فتابَعَ (سلامُهُ
علينا) يَقولُ: "إنّما طَعامي أن أعمَلَ ما يُرضي اللهَ وأُتمِّمَ ما أرسَلَني مِن
أجلِهِ. 35 ألا تَتَداوَلونَ فيما بَينَكُم المَثَلَ القائل: "بَعدَ أربَعة أشهُرٍ يَحينُ
الحَصادُ"؟ ولكنّني أقولُ لكُم: قد آنَ وَقتُ الحَصادِ! فافتَحُوا أعيُنَكُم وأبصِروا.

هؤلاء السّامريُّونَ المُقبلونَ علينا، مُتَهيّئونَ للإيمانِ بي في يَومٍ واحدٍ![٨]
36 فكما يَجمَعُ الحَصّادُ مَحصولَهُ، كذا أنتُم تَجمَعونَ النّاسَ وتُرشِدونَهُم بتَعاليمي الّتي تؤدّي بِهِم إلى جِنانِ الخُلد. والعامِلُ يَحصُلُ على أجرِهِ مُقابِلَ عَمَلِهِ في الحَصادِ، وكذلِكَ أنتُم، سيَمنَحُكُم اللهُ أجرًا مُقابِلَ جَهدِكُم في نَشْرِ هذِهِ الدَّعوةِ. يومئذٍ يَفرَحُ الزَّارِعُ والحَصّادُ معًا. 37 ويَصدُقُ المَثَلُ القائلُ: "النّاسُ صِنْفانِ زارِعٌ وحَصّادٌ". 38 وها أنا أُرسِلُكُم لحَصادٍ ما لم تَتعَبوا في زَرعِهِ، بل تَعِبَ فيهِ غَيرُكُم، فأنتُم المُنتَفِعونَ بثِمارِ جَهدِهِم".
39 وأقبَلَ على سَيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا)، مِن تِلكَ البَلدةِ، عَدَدٌ كَبيرٌ مِن السّامريّينَ وآمَنوا بِهِ بَعدَ أن سَمِعوا ما أَخبَرَت بِهِ تِلكَ المَرأةُ عَنهُ عِندَما كَشَفَ لها ما أخفَتْهُ عن النّاسِ. 40 ودَعَوهُ أن يُقيمَ عِندَهُم، فاستَجابَ لطَلَبِهِم وأقامَ بَينَهم يومَيْنِ، 41 يَشرَحُ لهُم رِسالتَهُ، فازدادَ عَدَدُ المؤمنينَ بِهِ. 42 فقالوا للمَرأةِ: "لم نؤمن بِهِ لأنّكِ أخبَرتِ عَنهُ فحَسب، ولكنّنا آمنّا بِهِ لأنَّنا سَمِعناهُ. وعَرَفنا أنَّهُ ولا رَيبَ مُنقِذُ البَشَرِ أجمَعينَ".

عيسى (سلامُهُ علينا) يقوم بشفاء ولد أحد النّبلاء

43 وعِندَ انقِضاءِ اليَومَينِ، خَرَجَ (سلامُهُ علينا) مِن سُوكار مُتَوَجّهًا إلى الجَليلِ، 44 رَغمَ أنّهُ سَبَقَ أن قالَ: "لا كَرامةَ لِنَبِيٍّ في وَطنِهِ وبَينَ أهلِهِ"، 45 إلاّ أنّ الجَليليّينَ رَحَّبوا بِهِ عِندَ وصولِهِ إلى مَوطنِهِ. ذلِكَ أنّ بَعضَهُم كانَ في القُدسِ أثناءَ عِيدِ الفِصح، فسَمِعوا ورأَوا بأُمِّ أعيُنِهِم ما جَرى على يَديْهِ مِن مُعجِزاتٍ.
46 وعِندَ وصولِهِ إلى مِنطقةِ الجَليلِ، إلى بَلدةِ قانا الّتي كانَ قد حَوَّلَ فيها الماءَ إلى شَرابٍ، صادَفَ رَجُلاً مِن حاشيةِ المَلِكِ كانَ ابنُهُ يُعاني مَرَضًا في بَلدةِ كَفْرَناحومَ. 47 فلمّا سَمِعَ أنّهُ (سلامُهُ علينا) قد تَرَكَ يَهُوذا وجاءَ إلى قانا في مِنطقةِ الجَليلِ، جاءَ إليهِ مُتَوَسِّلاً أن يَذهَبَ مَعَهُ إلى كَفرناحومَ ليُشفِيَ ابنَهُ

---

[٨] يبدو أنّ الناس في ذلك الزمن كان يضربون هذا المثل للإشارة إلى ضرورة الانتظار في بعض المسائل، ولكنّ السيد المسيح يُقِرّ أنّ الأوان قد حان للإيمان به دون مماطلة. ومن الممكن أنه (سلامُهُ علينا) تحدّث بشكل مجازي عن الحصاد، مشيرًا إلى السامريين الذين كانوا يرتدون لباسهم الأبيض الشبيه بلون حصاد القمح.

الّذي يُوشِكُ على الهَلاكِ. [48] فقالَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) لهُ ولِمَن حَولَهُ: "أيُّها القَومُ، هل يَنبَغي أن تَرَوا بأعينِكُم المُعجِزاتِ والآياتِ لكي تؤمنوا بي؟!" [49] فاستعجَلَهُ الرَّجُلُ مُتوسّلاً: "يا سَيّدي، هلاّ جِئتَ قَبلَ أن يُفارقَ ابني الحَياة؟!" [50] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "اِمضِ في سَبيلِك إلى بَيتِكَ، فلقد تَعافى وَلدُكَ". فصَدَّقَ الرَّجُلُ حَديثَهُ وانصَرَفَ عائدًا إلى كَفرَناحومَ. [51] وبَينَما هو في طَريقِهِ، أقبَلَ عليهِ جَمعٌ مِن خَدَمِهِ يُبَشّرونَهُ أنّ ابنَهُ حيٌّ مُعافى، [52] فاستَفسَرَهُم: "في أيّ ساعة رأيتُم تَحَسُّنَ حالِهِ؟!" فأجابوهُ قائلينَ: "بالأمسِ قُرابةَ السّاعة الواحدة بَعدَ الظُّهرِ، لاحَظنا أنّ الحُمَّى قد فارقَتْهُ". [53] فمَيَّزَ الأبُ وَقتَ قولِ سَيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) ووَقتَ تَعافي ابنِهِ وأيقَنَ بأنّها المُعجِزةُ فآمَنَ وجَميعُ أهلِ بيتِهِ. [54] وكانَت تِلكَ المُعجِزةَ الثّانيةَ الّتي جَرَت على يَدَيْ عيسى (سلامُهُ علينا) في الجَليلِ عِندَ عَودَتِهِ مِن مِنطقةِ يَهوذا.

5

الفصل الخامس

عيسى (سلامُهُ علينا) يشفي كسيحًا

[1] ومَضَى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بَعدَ ذلِكَ إلى القُدسِ الشَّريفِ، وصادَفَ ذَهابُهُ أحَدَ الأعيادِ اليَهوديّةِ. [2] وهُناكَ، وعِندَ بوّابةٍ تُدعَى باب الغَنَمِ، كانَت هُناكَ بِركةُ ماءٍ يُطلِقونَ عليها اسمَ بَيتِ حِسدا تُحيطُ بها خَمسُ قاعاتٍ [3] يَرقدُ فيها عَدَدٌ كَبيرٌ مِن المَرضى مِمَّن أُصيبُوا بالعَمى أو العَرَج أو الشَّلَل. وكانَ هؤلاء المَرضى يَنتظِرونَ على الدَّوامِ تَحَرُّكَ صَفحةِ الماءِ [4] مِمّا يَعني في اعتِقادِهِم أنّ مَلاكًا نَزَلَ وحَرَّكَ مياهَ البِركةِ، وأوَّلُ النّازِلينَ عِندَ تَحَرُّكِ الماءِ، يُعافى مَهما كانَ مَرَضُهُ. [5] وكانَ مِن بَينَ المَرضى الرّاقدينَ رَجُلٌ مُقعَدٌ مُنذُ ثَمانٍ وثَلاثينَ سَنة، [6] رآهُ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) راقدًا هُناكَ، وعَلِمَ أنّهُ على تِلكَ الحالِ مُنذُ مُدّةٍ طَويلةٍ. فسألَهُ: "هل تُريدُ أن تُشفى؟" [7] فأجابَهُ المُقعَدُ: "أنّى لي الشِّفاءُ يا سَيِّدي، ولا أحَدَ يُساعِدُني لأنزِلَ في الماءِ

بَعدَ تَحَرُّكِهِ. فكُلّما حاوَلتُ الوُصولَ إليهِ سَبَقَني آخَرُ" [8] فقالَ لهُ عيسى (سلامُهُ علينا): "قُم واحمِل فِراشَكَ وامشِ". [9] وسُرعانَ ما تَعافى الرَّجُلُ المُقعَدُ، فاستَجابَ وحَمَلَ فِراشَهُ في الحالِ وسارَ على قَدمَيهِ. وقد جَرَت تِلكَ المُعجِزةُ يومَ السَّبتِ، [10] فما كانَ مِن قادةِ اليَهودِ إلاّ أن تَوَجَّهوا إلى الرَّجُلِ الّذي تَعافى وقالوا لهُ: "اليومَ يَومُ سَبتٍ، وهو يوم لا يَحِلُّ فيهِ العَمَلُ فلا يَحُقُّ لكَ حَملُ فِراشِكَ". [11] فأجابَهُم: "ولكنّ مَن شَفاني أمَرَني بقولِهِ: احمِل فِراشَكَ وامشِ". [12] فسألوهُ: "ومَن ذا الّذي يَجرُؤُ على أن يَطلُبَ مِنكَ ذلِكَ؟" [13] فسَكَتَ الرّجُلُ ولم يَستَطِع الإشارةَ إلى مَن طَلَبَ مِنهُ ذلِكَ، لأنّ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) كانَ قد اختَفى وَسطَ الجُمهورِ المُحتَشِدِ.

[14] ثُمَّ التَقى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بذاكَ الرَّجلِ في الحَرَمِ الشَّريفِ، فقالَ لهُ: "احذَر، وقد شُفيتَ، مِن أن تَعودَ إلى خَطاياكَ وآثامِكَ فيُصيبَكَ أسوأُ مِمّا كانَ قد حَلَّ بِكَ". [15] فعَلِمَ الرَّجُلُ حِينئذٍ أنّ مَن شَفاهُ هو عيسى (سلامُهُ علينا) فأخبَرَ قادةَ اليَهودِ. [16] فما كانَ مِنهُم إلاّ أن أخَذُوا يُضايقونَ عيسى (سلامُهُ علينا)، لأنّهُ تَجاوَزَ شَرائعَهُم بأن عَمِلَ في يَومِ السَّبت. [17] فقالَ لهُم (سلامُهُ علينا): "اللهُ أبي الصَّمَدُ دائمُ الحَرَكةِ والعَمَلِ في الكونِ وأنا كذلِكَ". [18] وفي الحينِ عَقَدَ هؤلاء القادةُ النّيّةَ على قَتلِهِ، لا لأنّهُ خالَفَ شَريعتَهُم بشأنِ السَّبتِ فحَسب، بل لأنّهُ جَعَلَ مِن اللهِ وليَّهُ الحَميمَ، فساوَى بذلِكَ بَينَهُ وبَينَ اللهِ تَعالى.

سلطة حبيب الله (سلامُهُ علينا)

[19] ثُمّ تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى بَعدَ ذلكَ إلى هؤلاء قائلاً: "الحقَّ أقولُ لكُم: لا يَبتَدِعُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ شَيئًا مِن تِلقاءِ نَفسِهِ، وإنّما مَثَلُهُ كمَثَلِ الوَلَد الّذي يُحاكي أباهُ في عَمَلِهِ، فأنا أيضًا أُحاكي ما يَقومُ بِهِ اللهُ أبي الصَّمَدُ مِن أعمالٍ. [20] واللهُ الأبُ الرَّحيمُ يُحِبُّ الابنَ الرُّوحيَّ لهُ تَعالى، ويُريهِ كُلَّ ما يَقومُ بِهِ مِن أعمالٍ. وسيُظهِرُ للابنِ الرُّوحيِّ ما يَقومُ بِهِ مِن أعمالٍ تَكونُ أعظَمَ مِن شِفاءِ هذا الرَّجُلِ فتَندهِشونَ كَثيرًا، [21] وكَما أحيا اللهُ الأبُ الصَّمَدُ المَوتى، كذلِكَ يُحيِي الابنُ الرُّوحيُّ كُلَّ مَن يَشاء. [22] ولا يُحاسِبُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ النّاسَ مُباشرةً، بل وَكَّلَ الابنَ الرُّوحيَّ ليُحاسِبَهُم كُلَّهم، [23] حتّى يُكرِمَهُ الجَميعُ كَما

يُكرِمونَ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ. ومَن لا يُكرِمْ الابنَ الرُّوحيَّ، لا يُكرِم اللهَ الأبَ الرَّحمنَ الّذي أرسَلَهُ".

24 الحقَّ أقولُ لكُم: مَن يَستجِب لرِسالتي مؤمنًا بمَن أرسَلَني فلَهُ الخُلودُ في الجَنَّةِ ولا يُعَذَّبُ بالنّارِ يَومَ الدِّينِ، لأنّهُ قد انتَقَلَ مِن الحياةِ الفانيةِ إلى الحَياةِ الباقيةِ الأبديّةِ. 25 والحقَّ أقولُ لكُم: سيَحينُ، بل قد حانَ فِعلاً، ذلِكَ الوَقتُ الّذي يُصغي فيهِ الضّالونَ الّذينَ هُم في دَربِ الهَلاكِ إلى صَوتِ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ، فكُلُّ مَن يَسمَعُهُ يَحيا،(٩) 26-27 وكَما أنّ للهِ الأبِ الصَّمَدِ قُدرةً على إعطاءِ الحَياةِ، كذلِكَ مَنَحَ الابنَ الرُّوحيَّ، سَيِّدَ البَشَرِ، قُدرةً على إحياءِ المَوتى، وسُلطةً على مُحاسبتِهِم. 28-29 ولا تَستَغرِبنّ ذلِكَ كُلَّهُ، فإنّهُ سيَحينُ وَقتٌ فيهِ يَسمَعُ مَن في القُبورِ صَوتَ سَيِّدِ البَشرِ، فيُبعَثونَ أحياءً، فمَن عَمِلَ الصّالِحاتِ نالَ حَياةَ الخُلودِ، ومَن عَمِلَ السَّيِّئاتِ نالَ العِقابَ.(١)

الشّهادة لعيسى (سلامُهُ علينا)

30 ثُمَّ تابَعَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) قائلاً: "لَيسَ ما أعمَلُهُ هو مِن تِلقاءِ نَفسِي، ولكنّني أُحاسِبُ النّاسَ كَما أمَرَني رَبّي. وَحِسابي عادِلٌ، لأنّني أُحاسِبُ لا كَما أُريدُ، بَل كَما يُريدُ اللهُ الّذي أرسَلَني. 31 وإنّي لو شَهِدتُ لِنَفسي لم تَكُن شَهادتي مَقبولةً، 32 إلاّ أنّ هُناكَ مَن يَشهَدُ لي، وإنّي لَعَلى يَقينٍ بصِحَّةِ شَهادتِهِ، 33 فلقد أرسَلتُم مَن يَسألُ النَّبيَّ يَحيى عَمّا جالَ في قُلوبِكم، ولقد شَهِدَ بالحقِّ. 34 وما أنا مِمّن يَركُنُ إلى شَهادةٍ بَشَريّةٍ تُخبِرُكُم مَن أنا، ولكنّني أُذَكِّرُكم بشَهادةِ النّبيِّ يَحيى حتّى تؤمنُوا بي فتَنجُونَ. 35 إنّهُ النَّبيُّ الّذي أشَعَّ عليكُم كالمِصباحِ المُنيرِ، واستمتِعتُم بنورِهِ إلى حين. 36 ولكنّ شَهادتي أعظَمُ مِن شَهادةِ يَحيى لأنّ شَهادتي شَهادةُ الأعمالِ الّتي كَلَّفَني بها اللهُ الأبُ الرَّحيمُ وهي الشَّهادةُ الحقُّ بأنّهُ تَعالى هو الّذي أرسَلَني إلى العالَمِ. 37 واللهُ الأبُ الرَّحيمُ يَشهَدُ لي أيضًا، وهو الّذي أخبَرَكُم عنّي بذاتِهِ العَليَّة

---

(٩) يشير سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) هنا إلى الأموات روحيا، أولئك الذين عند تقبّلهم رسالته ينالون الحياة الروحية.

(١) يعني سيدنا المسيح (سلامُهُ علينا) هنا بعث الأموات عند قيام الساعة.

الّتي لم تُدرِك ولَن تُدرِكَ عُيونُكم صُورتَها ولا آذانُكُم صَوتَها، [38] ولكنَّكُم لم تَهتمُّوا بما أَخبَرَكُم بِهِ وأغلَقتُم دُونَهُ قُلُوبَكم، إذ لم تُصَدِّقوا أنّي مُرسَلٌ مِن عِندِهِ. [39] إنّكُم تَقرَؤونَ الكُتُبَ السَّماويَّةَ بِحِرصٍ إذ تَعتَقِدونَ بأنّ بها هِدايتَكُم إلى سُبُلِ الجِنانِ، ولكنّكُم لم تُعيرُوا المَواضِعَ الّتي تَشهَدُ لي اهتمامًا. [40] وإذ تَرفُضونَ الاهتداءَ إليَّ إنّما تَرفُضونَ نَصيبَكم في الجَنَّة.
[41] ولَيسَ هَدَفي مَديحَ النّاسِ لي، [42] لأنّني على يَقينٍ بأنَّ قُلوبَكُم خاليةٌ مِن مَحبّةِ اللهِ، [43] وإنّي جِئتُ إليكُم باسمِ اللهِ أبي الصَّمَدِ فرَدَدتُمُوني، ولو جاءَ إليكُم أحَدٌ لا يُمَثِّلُ إلاّ نَفسَهُ لقَبِلتُموهُ. [44] فكَيفَ السَّبيلُ بكُم إلى الإيمانِ بي وأنتُم تَستعِيضُونَ عن مَدحِ اللهِ بمَديحِ بَعضِكُم بعضًا؟ [45] ولا تَعتقِدونَ أنَّني بهذا أشكُوكُم إلى اللهِ الأبِ الصَّمَدِ، ولكن مَن يَشكوكُم هو النَّبيُّ موسى مَحطُّ آمالِكم، [46] ولو أنّكُم صَدَّقتُم النَّبيَّ موسى، لَكُنتُم صَدَّقتُمُوني، فهو الّذي جاءَكُم بخَبَري، [47] فإن لم تُصَدِّقوهُ فكَيفَ إيّايَ تُصدِّقونَ؟"

6

الفصل السّادس

عيسى (سلامُهُ علينا) ومعجزته في إطعام 5000 شخص

[1] ثُمّ اجتازَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى الضِّفَّةِ الأُخرى مِن بُحَيرةِ الجَليل، أي بُحَيرة طَبَريّا، [2] وهُناكَ اتّبَعَهُ حَشدٌ كَبيرٌ إذ أَذهَلَهُم ما عَمِلَ مِن مُعجِزاتٍ في شِفاءِ المَرضى. [3] فصَعِدَ إلى الجَبَلِ وجَلَسَ مَعَ أتباعِهِ، [4] وقد صادَفَ ذلِكَ قُربَ يومِ عِيدِ الفِصحِ اليَهوديّ.
[5] فنَظَرَ (سلامُهُ علينا) فرَأى حَشدًا مِن النّاسِ غَفيرًا مُقبِلاً عليهِ، فقالَ لأحَدِ حَواريّيهِ، واسمُهُ فيليبُ: "أنَّى لنا أن نَشتريَ خُبزًا يَكفي إطعامَ هذا الحَشدِ؟" [6] وكانَ قَولُهُ هذا بمَثابةِ اختِبارٍ، إذ كانَ يَعلَمُ ما سيَقومُ بِهِ لأجلِ مَن جاؤوا إليهِ. [7] فأجابَهُ فيليبُ: "لا طاقةَ لنا على إطعامِ هذِهِ الحُشودِ، حتّى لو اشتَرينا

خُبزًا بمِئتَي دينار،[٢] فلن يَحظَى الواحدُ مِنهُم بكِسرةٍ صَغيرةٍ". [8] ثُمّ انبَرَى أحَدُ حَواريّيهِ واسمُه أندَراوسُ أخو بُطرُسَ، يَقولُ: [9] "إنَّ هاهُنا وَلَدًا يَحمِلُ خَمسةَ أرغِفةِ شَعيرٍ وسَمَكَتَيْن، ولكن ما جَدوى ذلِكَ أمامَ هذا الحَشدِ الكَبير؟" [10] وكانَ في ذلِكَ المَكانِ عُشبٌ كَثيرٌ، فقالَ لهُم سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "أجلِسُوا النّاسَ". فأجلَسُوا النّاسَ وقد بَلَغَ عَدَدُ الرّجالِ فيهِم خَمسةَ آلافٍ. [11] فتَناوَلَ عيسى (سلامُهُ علينا) الأرغِفةَ الخَمسةَ، ثُمّ شَكَرَ اللهَ وقَدَّمَها ليُوَزّعَها أتباعُهُ على الجَميعِ، وكذلِكَ فَعَلَ بالسَّمَكَتَينِ قَدر ما طَلَبوا. [12] وبَعدَ أن شَبِعَ النّاسُ، قالَ (سلامُهُ علينا) لأتباعِهِ: "اِجمَعوا ما تَبَقّى مِمّا أكَلَ النّاسُ لكي لا نُفَرِّطَ في شَيء". [13] فجَمَعوا الخُبزَ فإذا بالكِسَرِ قد مَلأت اثنتَي عَشَرةَ قُفَّةً وهي ما فاضَ عن الحَشدِ بَعدَ أن شَبِعوا مِن تِلكَ الأرغِفةِ الخَمسةِ الّتي بارَكَها (سلامُهُ علينا). [14] فلمّا رَأى النّاسُ تِلكَ المُعجِزةَ أقَرُّوا قائلينَ: "إنّهُ حقًّا النَّبيُّ الّذي نَنتَظِرُ مَجيئَهُ إلى العالَمِ!"[٣] [15] ووَصَلَ إلى عِلمِهِ (سلامُهُ علينا) أنّ هذِهِ الحُشودَ إنّما تُريدُ تَنصيبَهُ مَلِكًا،[٤] ففارقَهُم واختَلى في الجِبالِ.

عيسى (سلامُهُ علينا) يمشي على الماء

[16] وعِندَ المَساءِ، نَزَلَ أتباعُ عيسى (سلامُهُ علينا) إلى شاطئِ البُحَيرةِ ليَنتَظِرُوهُ، [17] إلاّ أنّهُ لم يَلحَقْ بِهِم حتّى بَعدَ حُلولِ الظّلام. فرَكِبوا قاربًا لعُبورِ البُحَيرةِ إلى الضِّفّةِ الأُخرى مُيمِّمينَ قَريةَ كَفْرَناحومَ. [18] وفَجأةً هَبَّت رياحٌ شَديدةٌ سَبَّبَت هَيَجانَ مياهِ البُحَيرةِ، [19] فلم يَكُن في استِطاعتِهِم اجتيازُ أكثرَ مِن ثَلاثةِ أَميالٍ أو أربَعةٍ رَغمَ تَجديفٍ شاقٍّ. وأقبَلَ عليهِم سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) وهو يَمشي على سَطحِ الماءِ فارتاعوا، [20] ولكنّهُ هَدّأ مِن

---

[٢] وهذا ما يعادل أجر عامل لمدة ثمانية أشهر في تلك الأيام.

[٣] هذا هو النبيُّ الذي يأتي من بني يعقوب، وهو ما أخبر به النبي موسى (عليه السّلام) في التوراة (سفر التثنية 18: 15-18)

[٤] كان اليهود يتوقّعون مجيء المنقذ المنتظر لإقامة مملكة النبي داود (عليه السّلام) من جديد. وإذ كان النبي موسى (عليه السّلام) قد قام بتحرير الناس من العبودية في مصر، فإنّ اليهود كانوا يشعرون بأنّ هذا النبي المنتظر سوف يقوم بمساعدة شعبه للتخلّص من عبودية الرومان. ولم تكن تلك المهمّةُ من مُهمّات سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا)، لذلك انسحب من بين الحشود.

روعِهِم بقولِهِ: "أنا عيسى، فلا تَخافوا!" [21] وما كادوا يأخُذونَهُ في القاربِ، حتّى وَصَلوا إلى الشّاطئ الّذي كانوا يَقصِدُونَهُ.

عيسى (سلامُهُ علينا) خبز الحياة

[22] وفي اليَومِ التّالي احتَشَدَتِ الجُموعُ مِن جَديدٍ لرؤيتِهِ، في المَكانِ نَفسِهِ الّذي أطعَمَهُم فيهِ، حَيثُ لاحَظوا أنّهُ أتى وأتباعُهُ إلى ذاكَ المَكانِ في قارِبٍ واحدٍ، في حينِ أنَّهُ لم يَركَبْهُ مَعَهُم عِندَما غادَرَ أتباعُهُ المَكانَ. [23] وجاءَت بَعضُ القوارِبِ إلى ذلِكَ الشّاطئِ مِن قَريةِ طَبَريّا. [24] وعِندَما عَرَفَ هؤلاء أنّ سَيّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) وأتباعَهُ قد غادَروا المَكانَ، رَكِبوا القَوارِبَ مُتّجِهينَ إلى قَريةِ كَفْرَناحومَ بَحثًا عَنهُ. [25] فلمّا وَجَدوهُ في الضِّفّةِ الأُخرى قالوا لهُ مُتَعَجّبينَ: "يا مُعَلِّمَنا، كَيفَ وَصَلتَ إلى هُنا؟" [26] فأجابَهُم: "الحقَّ أقولُ لكُم، أنتُم خَرجتُم بَحثًا عَنّي لا لأنّكُم فَهِمتُم مَغزى مُعجِزاتي، بل لأنّكُم أكَلتُم مِن ذلِكَ الخُبزِ وشَبِعتُم. [27] فلا تَهتَمّوا بالطَّعامِ الفاني، بل ليَكُن سَعيُكُم وَراء الغَذاءِ الأبَديّ الّذي يَمنَحُكُمُ الخُلودَ، والّذي سيَمنَحُكُم إيّاهُ سَيِّدُ البَشَرِ، فهو الرَّجُلُ الّذي خَتَمَهُ اللهُ الأبُ الرَّحيمُ بخاتمِهِ".

[28] فسألوهُ قائلينَ: "ما هي الأعمالُ الّتي يَجِبُ أن نَعمَلَها مَرضاةً للهِ؟!" [29] فأجابَهُم: "أن تُؤمنوا بمَن أرسَلَهُ إلى العالَمينَ". [30] فقالوا: "أرِنا آيةً فنؤمنَ بِكَ! أينَ هي المُعجِزة الّتي ستَقومُ بها؟! [31] إنّ النَّبيَّ موسى أعطى أجدادَنا المَنَّ غِذاءً يَوميًّا وهُم في صَحراءِ سِيناء، إذ جاءَ في كِتابِ اللهِ: "أعطاهُم خُبزًا مِن السَّماءِ ليأكُلوا". [32] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: لم يَكُن النَّبيُّ موسى هو مَن أعطى أجدادَكُم ذلِكَ الخُبزَ، بل اللهُ أبي الصَّمَدُ هو مَن أعطاهُم إيّاهُ. والآن يُرسِلُ إليكُم مِن السَّماءِ الغِذاءَ الحَقيقيّ. [33] إنّهُ غِذاءٌ مِن اللهِ يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ وَيُعطِي الحَياةَ لِلنَّاسِ في العالَمِ".

[34] فقالوا لهُ: "اعطِنا يا سَيِّدَنا هذا الغِذاءَ على الدَّوامِ". [35] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "أنا هو الخُبزُ الّذي يُغَذّي أرواحَكُم، فلا جُوعَ بَعدَهُ ولا عَطَشَ إذا آمنتُم بي. [36] وأقولُ لكُم: لقد رَأيتُموني ولكنَّكُم لم تُؤمنوا بي، [37] فكُلُّ مَن وَضَعَهُم اللهُ الأبُ الرَّحمنُ أمانةً بَينَ يَديّ، يُصبِحونَ مِن أتباعي، وهؤلاء لن أطرُدَهُم عن بابي أبَدًا، [38] فأنا أتيتُ مِن عِندِ اللهِ لأعمَلَ بإرادةِ الّذي أرسَلَني،

لا بإرادتي، [39] وإنَّ إرادةَ اللهِ أن لا أُضَيِّعَ واحدًا مِن الأتباعِ الّذينَ جَعَلَهُم في رِعايتي، بل إنّني أُقيمُهم في يَومِ الدِّين. [40] فَإنّ مِن إرادةِ اللهِ أبي الصَّمَدِ أَنّ كُلَّ مَن يَنظُرُ إلى الابنِ الرُّوحيِّ وَيُؤمِنُ بِهِ يَعيشُ خالدًا في الفِردوسِ، وأنا أُقيمُهُ في اليَومِ الآخِرِ."

[41] فاحتجَّ النّاسُ على قولِهِ: "أنا الخُبزُ الّذي جاءَ مِن السَّماءِ" [42] فقالوا: "أَليسَ هو ذاكَ عيسى بِن يوسف؟ نَحنُ نَعرِفُ أباهُ وأُمَّهُ، فكَيفَ يَقولُ إنّهُ نَزَلَ مِن السّماءِ؟!" [43] فأجابَهُم: "تَوَقَّفوا عن الاحتِجاجِ فيما بَينَكُم، [44] فإنّي أقولُ لكُم: لا أحَدَ يَستَطيعُ أن يَكونَ مِن أتباعي إلاّ الّذي اقتَدى باللهِ الأبِ الرَّحمنِ الّذي أرسَلَني، وأنا أُقيمُهُ يَومَ القيامةِ. [45] وقد وَرَدَ في كِتابِ النَّبيِّ أشعيا: "إنَّ اللهَ يُعَلِّمُ جَميعَ عِبادِهِ". وكُلُّ مَن سَمِعَ هِدايةَ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ وتَعَلَّمَ مِنهُ سيَكونُ مِن أتباعي. [46] وهذا لا يَعني أنّ أحَدًا رأى اللهَ الأبَ الصَّمَدَ، فلا أحَدَ رآهُ إلاّ الّذي جاءَ مِن عِندِ اللهِ. [47] والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم إنّ مَن آمَنَ بي لهُ الحَياةُ الخالدةُ. [48] أنا هو الخُبزُ الّذي يُغَذّي أرواحَكُم. [49] قد أكَلَ آباؤكُم الأوّلونَ المَنَّ في الصَّحراءِ ولكنّهُم لم يَنالوا الخُلودَ. [50] غَيرَ أنَّ هُناكَ غِذاءً مُرسَلاً مِن السّماءِ يَتَغذَّى بِهِ النّاسُ فيَخلدونَ. [51] وأنا ذاكَ الغِذاء، الّذي مَن أكَلَ مِنهُ عاشَ خالدًا عِندَ اللهِ. ها هو جَسَدي الّذي سأُضَحّي بِهِ لكي يَحيا كُلُّ النّاسِ في العالَمِ".

[52] وحَدَثَ بَينَ الحاضرينَ جَدَلٌ عَنيفٌ فقالوا: "كَيفَ يَستَطيعُ هذا أن يُعطيَنا جَسَدَهُ لنأكُلَهُ؟" [53] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، إن لم تَقبَلوا تَضحيةَ سَيِّدِ البَشَرِ بجَسَدِهِ ودَمِهِ مِن أجلِكُم، فلن تَكونَ لكُم حَياةُ الخُلودِ. [54] أمّا مَن آمَنَ مِن أعماقِهِ بأنّ جَسَدي ودَمي مُقدَّمانِ كفِداءٍ لهُ، فكأنّهُ أكَلَ جَسَدي وشَرِبَ دَمي، فيَعيشُ خالِدًا، وأنا أُقيمُهُ يومَ الدِّين. [55] فإنّما التَّضحيةُ بجَسَدي تُفيدُكُم أكثر مِن الغِذاءِ الماديّ، [56] فكُلُّ مَن آمَنَ بأنّني قَدَّمتُ جَسَدي ودَمي فِداءً لهُ، فسيَثبُتُ في قَلبي وأنا في قَلبِهِ. [57] أنا حيٌّ بقوّةِ اللهِ الأبِ الحَيّ القيّومِ الّذي أرسَلَني، وكذلِكَ فإنّ كُلَّ مَن يؤمنُ يَقينًا ويَتَمَسّكُ بتَضحيتي يَحيا بي إلى الأبَدِ. [58] أجدادُكُم أكَلوا مِن الخُبزِ السَّماويّ إلاّ أنّهُم لم يُمنَحوا الخُلودَ. أنا الخُبزُ الرُّوحيُّ النّازلُ مِن السَّماءِ وكُلُّ مَن يَتَغَذّى بي يَحيا إلى الأبَدِ". [59] كانَ هذا ما تَحَدَّثَ بِهِ سَيِّدُنا عِيسَى (سلامُهُ علينا) وهو يُعَلِّمُ في

بَيتِ العِبادَةِ في قَريةِ كَفْرَناحومَ.

كلام الحياة

[60] غَيرَ أنَّ كثيرًا مِن أتباعِهِ (سلامُهُ علينا) أخَذوا يَتَحَدّثونَ فيما بَينَهُم قائلينَ: "هذا كَلامٌ يَصعُبُ إدراكُهُ! كَيفَ يُمكِنُ لأحَدٍ تَقَبُّلُهُ؟" [61] وعَلِمَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) أنّ أتباعَهُ يَحتَجّونَ، فتَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "هل صَدَمَكُم قَولي؟ [62] فماذا ستَقولونَ إذا رَأيتُم سَيِّدَ البَشَرِ يَصعَدُ إلى حَيثُ كانَ مَوجودًا مِن قَبلُ؟! [63] أقولُ لكُم: إنّ رُوحَ اللهِ تَهبُكُم الخُلودَ، فلا يُجدي حينئذٍ كُلُّ ما هو جَسَديٌّ دُنيويٌّ فانٍ، فكَلامي الّذي كَلَّمتُكُم بِهِ هو رُوحٌ وحَياةٌ، [64] إلاّ أنَّ بَينَكُم مَن لا يُؤمنُ بي". [٥] وقد ذَكَرَ (سلامُهُ علينا) ذلِكَ لأنّهُ كانَ يُدرِكُ مُنذُ البدايةِ مَن مِن أتباعِهِ لا يؤمنُ بِهِ، ومَنِ الَّذي سيَخونُهُ. [65] ثُمّ تابَعَ قائلاً: "لهذا أخبَرتُكُم بأنّهُ لن يَكونَ باستِطاعةِ أحَدٍ أن يُصبحَ مِن أتباعي إلاّ إذا أنعَمَ عليهِ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ بذلِكَ".

[66] وفارقَهُ ساعتئذٍ الكَثيرُ مِن أتباعِهِ وارتَدُّوا على أعقابِهِم. [67] فتَوَجَّهَ إلى حَواريّيهِ الاثنَي عَشَر قائلاً: "وأنتُم، هل عَقِدتُم عَزمَكُم على مُفارقتي كَما فَعَلَ أولئكَ؟!" [68] فأجابَهُ بُطرُسُ الصَّخر: "إلى مَن نَذهَبُ يا سَيّدي، وكَلامُ الحَياةِ الأبديّةِ عِندَكَ؟! [69] لقد وَقَرَ إيمانُنا بِكَ في قُلوبِنا وعَرَفنا أنّكَ رَسولُ اللهِ المُقَدَّس". [٦] [70] فأجابَهُم: "أما اختَرتُكُم، أنتُم الاثنَي عَشَر؟ إلاّ أنّ أحَدَكُم سيَكونُ كالشَّيطانِ!" [71] وقد قَصَدَ بذلِكَ يَهوذا بن سَمعانَ الإسخَريوطيّ، وقد كانَ أحَدُ حَواريّيهِ الاثنَي عَشَر، ومَعَ ذلِكَ غَدَرَ بِهِ فيما بَعدَ وخانَهُ.

---

[٥] كان سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) يتكلّم كنايةً عندما طلب منهم أن يأكلوا جسده، ولكنّ عددا من الحاضرين فهموا كلامه بشكل ظاهري. وفي هذا السياق يشرح ما قصده سابقا ويقول إنّه ينبغي أن يَقبَلوا رسالته ويطيعوها لأنها ستعطيهم الحياة لا أكلَ جسده.

[٦] من المرجَّح أنّ "رسول الله المُقدّس" كان لقبًا للمسيح المنتظَر.

7

الفصل السّابع

إخوة عيسى (سلامُهُ علينا) وعدم إيمانهم به

[1] وأخَذَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بَعدَ ذلِكَ يَتَنَقّلُ في مِنطقةِ الجَليل، مُتَجَنِّبًا مِنطقةَ يَهوذا الّتي كانَ قادَتُها يُدبِّرُونَ قَتلَهُ. [2] وعِندَ اقتِرابِ عِيدِ الخِيامِ اليَهوديّ، [3-5] قالَ لهُ إخوتُهُ الَّذينَ لم يُؤمنوا بِهِ بَعدَ: "غادِر هذا المَكانَ وتَوَجَّهْ إلى يَهوذا حَيثُ يُمكِنُ لأَتباعِكَ رؤيةُ مُعجِزاتِكَ، فمَن يُريدُ الشُّهرةَ لا يُخفي ما يَقومُ بِهِ مِن أعمالٍ. وما دامَت لكَ مُعجِزاتٌ، فما عليكَ إلاّ أن تُظهِرَ نَفسَكَ للعالَم!"

[6-8] إلاّ أنّهُ (سلامُهُ علينا) أجابَهُم قائلاً: "لم يَحِن وَقتُ إظهارِ حَقيقتي بَعدُ، أمّا أنتُم فلا ضَيْرَ إذا تَوَجَّهتُم إلى يَهوذا للاحتِفالِ بالعِيدِ في أيِّ وَقتٍ شِئتُم.(٧) إنّ أهلَ الدُّنيا لا يَبغُضونَكُم بل إيّاي يَبغُضونَ لأنّني أواجِهُهُم بكُلِّ ما يَرتكِبونَ من آثامٍ. اِذهَبوا لحُضورِ العِيدِ، فأنا لَستُ بذاهبٍ الآن، لأنَّ وَقتَ ظُهورِ حَقيقتي لم يَحِن بَعدُ". [9] قالَ ذلِكَ ومَكَثَ مُنتَظِرًا في الجَليلِ.

ما حدث في عيد الخيام

[10] وبَعدَ انصِرافِ الإخوةِ، تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) سِرًّا إلى القُدسِ. [11] وهُناكَ كانَ قادةُ اليَهودِ دائبي البَحثِ عَنهُ خِلالَ فَترةِ العِيدِ مُرَدِّدينَ: "أينَ ذاكَ الرَّجُل؟! أينَ هو؟!" [12] وكانَ النّاسُ يَتَجادَلونَ بشأنِهِ فيما بَينَهُم، فقالَ بَعضُهُم: "إنّهُ لرَجُلٌ صالِحٌ". وقالَ آخَرونَ: " بل هو مُضِلٌّ للنّاسِ". [13] ولكن لم يَجرؤ أحَدٌ مِنهُم على الحَديثِ عَنهُ عَلَنًا خَوفًا مِن قادتِهِم.

[14] وفي مُنتَصَفِ فَترةِ العِيدِ سَعى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى حَرَمِ بَيتِ اللهِ وقامَ في النّاسِ مُعَلِّمًا. [15] فاندَهَشَ قادةُ اليَهودِ وتَساءَلوا قائلينَ:

---

(٧) أراد هؤلاء الاحتفالَ بالعيد في القدس دون غيرها من المدن لأنّ هذا فرضٌ كما جاء في التوراة، وكان على الرجال أن يقدّموا أضحية في حرم بيت الله (انظر سفر التثنية 16: 13-17).

"كَيفَ يَعرِفُ هذا الرَّجُلُ ما في الكُتُبِ المُقدَّسةِ ولم يَدرُس ما دَرَسناهُ ولا عَلِمَ ما نَعلَمُ؟!"[٨] [16] فأجابَهُم: "ما أُعَلِّمُهُ للنّاسِ لَيسَ مِن تِلقاءِ نَفسي، بل هو مِن اللهِ الّذي أرسَلَني. [17] ومَن يَسعى في رِضوانِ اللهِ يَعلَمُ عِلمَ اليَقينِ إن كُنتُ مُرسَلاً مِن عِندِ اللهِ أم لا، كَما يَعلَمُ إن كانَت تَعاليمي مِنهُ أو مِن ذاتي. [18] إنّ مَن عَلَّمَ مِن عِلْمِهِ الخاصِّ سَعى سَعْيَ المَغرورِ يَطلُبُ الفَخرَ والمَديحَ والمَجدَ لنَفسِهِ. أمّا مَن أعلَنَ عن الّذي أرسَلَهُ وطَلَبَ المَجدَ لهُ فهو الصّادِقُ المُنزَّهُ. [19] ولقد أعطاكُم النَّبيُّ موسى التَّوراةَ فألقيتُموها وَراء ظُهورِكُم وخالَفتُمُوها فلِماذا تَتَّهمونَني بالخُروجِ عَنها وتَسعَونَ إلى قَتلي؟" [20] فأجابَهُ مَن حَولَهُ مُنكِرينَ: "لا أحَدَ يُريدُ قَتلَكَ، وإنّما تَلَبَّسَكَ شَيطانٌ يُوحي إليكَ بُهتانًا وزُورًا!" [21] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "لقد شَفَيتُ في يَومِ السَّبتِ رَجُلاً مَريضًا فاندَهَشتُم مِن ذلِكَ وانزَعَجتُم. [22] ولقد أمَرَكُم النَّبيُّ موسى بالخِتانِ في اليَومِ الثّامنِ بَعدَ الوِلادةِ، وإنّكُم تَختِنونَ وِلدانَكُم حتّى وإن صادَفَ ذلِكَ يَومَ السَّبت! واعلَموا أنّ هذا لَيسَ حِكرًا على النَّبيِّ مُوسى بل هو مِن زَمَنِ النّبيِّ إبراهيمَ الّذي كانَ قَبلَهُ. [23] فإن كُنتُم تَختِنُونَ يَومَ السَّبت كي لا تُخالِفوا ما شَرَّعَهُ النَّبيُّ موسى لكُم، فلِمَ إذن تَغضَبونَ عليّ وتَثورونَ وقد شَفَيتُ يَومَ السَّبتِ إنسانًا مِن مَرَضِهِ؟ [24] فلا تُلقُوا بأحكامِكُم جُزافًا، ولكنِ احكُموا بالعَدلِ".

عيسى (سلامُهُ علينا) هو المسيح المنتظر

[25] وأخَذَ بَعضُ أهلِ القُدسِ يَقولونَ: "أليسَ هذا الّذي يُريدونَ قَتلَهُ؟! [26] ها هو يُعَلِّمُ النّاسَ عَلَنًا ولا أحَدَ يَرُدُّهُ! تُرى، هل اقتَنَعَ قادتُنا أنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ؟ [27] ولكن كَيفَ يَكونُ هو المُنتَظَرُ، ونحنُ نَعلَمُ مِن أينَ جاءَ، والحالُ أنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ، كَما أخبَرونا، لا أحَدَ يَعرِفُ مِن أينَ يأتي".[٩] [28] ورَفَعَ

---

[٨] إنّ سبب اندهاش قادة اليهود هنا ليس من جهل عيسى (سلامُهُ علينا) للقراءة والكتابة، إذ كان عامّة اليهود وحتّى الفقراءُ منهم يعرفون قراءة التوراة، والسبب الحقيقي من دهشتهم أنّ سيدَنا عيسى لم يَدرس على يد أحد من فقهائهم، وأنّه لم يعتمد على حُججهم عند محاجّته إيّاهم بعودته إلى التوراة.

[٩] اعتقد فقهاء اليهود، أنّ شخص المسيح المنتظر سيكون من عامة الشعب، ومع ذلك سيكون

(سلامُهُ علينا) صَوتَهُ، وهو يُرشِدُ النّاسَ في الحَرَمِ الشَّريفِ، ويُجيبُ عن حَيرتِهِم: "أتَعرِفونَ مَن أنا حَقًّا ومِن أينَ أتيتُ؟ أنا لم آتِ إليكُم بمَحضِ إرادتي، بل إنّي طَوعُ إرادةِ مَن أرسَلَني، أمّا أنتُم فتَجهَلونَهُ، [29] وأنا أعرِفُهُ لأنّهُ هو الّذي أرسَلَني". [30] وهُنا حاوَلَ قادةُ اليَهودِ القَبضَ عليهِ، ولكنّهُم لم يَصِلوا إليهِ لأنَّ ساعتَهُ لم تَحِن بَعدُ. [31] وأمّا جَماعةٌ أُخرى مؤمنةٌ بِهِ مِن تِلكَ الحُشودِ فقالَت: "هل إذا جاءَ المَسيحُ، ستَكونُ آياتُهُ ومُعجِزاتُهُ أعظَمَ مِمّا أتى بِهِ هذا الرَّجُلُ المُبارَك؟!"

[32] وسَمِعَ المُتشدِّدونَ ما يَتَجادلُ فيهِ النّاسُ، فأرسَلوا، مَعَ كِبارِ الأحبارِ، حُرّاسًا إلى حَرَمِ بَيتِ اللهِ للقَبضِ عليهِ. [33] فقالَ لهُم عيسى (سلامُهُ علينا): "ما مَقامي بَينَكُم إلاّ لوَقتٍ قَصيرٍ، وسأعودُ بَعدَهُ إلى الّذي أرسَلَني. [34] حينئذٍ ستَبحَثونَ عنّي فلا تَجِدونَني، ولا تَستَطيعونَ الذَّهابَ إلى حَيثُ أكونُ". [35-36] فأخَذَ النّاسُ مِن حَولِهِ يَتَساءَلونَ: "تُرى أينَ سيَذهَبُ فلا نَجِدُهُ؟! أتُراهُ يَنوي مُغادَرةَ فِلَسطين إلى شِعابِنا المُشتَّتَةِ في المَهجَرِ؟ وهل سيُعَلِّمُ الأغرابَ هُناكَ؟ وماذا يَعني بقولِهِ: ستَبحَثونَ عنّي فلن تَجِدوني، ولن تَقدِرُوا على الذَّهابِ إلى حَيثُ أكونُ؟!"

الماء الّذي يهب الحياة

[37] وفي آخِرِ أيّامِ العِيدِ، وهو أعظَمُها،(١) وَقَفَ سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) وصَدَعَ بصَوتٍ مُرتَفِعٍ: "إذا عَطِشَ أحَدٌ فليأتِ إليّ لِيَرتَوِي! [38] نَعم، ليأتِ ويَشرَبْ كُلُّ مَن آمَنَ بي، كَما جاءَ في الكِتابِ: مَن آمَنَ بِي ستَفيضُ مِن

غير معروف قطعيًا إلاّ أنّه سيظهر فجأةً ليقوم بتحرير بني يعقوب. وطالما أنّهم يعرفون أصل عيسى (سلامُهُ علينا)، بالإضافة إلى عدم اهتمامه بتحرير بني يعقوب، فقد رفضوا فكرة كونه المسيح المنتظر.

(١) في عيد الخيام وخلال أيّامه السبعة، كان جمع من الأحبار يملؤون إناء ذهبيا من ماء بركة سلوام، ثمّ يَقفلون عائدين إلى حرم بيت الله، يتقدّمهم كبير الأحبار. وقد كانوا يَسكبون الماء في الحرم الشريف تقدمة لله، وذلك إحياءً لذكرى إمداد الله أسلافَهم في صحراء سيناء بالماء في عهد النبي موسى (عليه السّلام). كما كان بنو يعقوب يربطون بين ممارسة هذه العادة، وسكب الله روحه كالماء في آخر أيّام هذه الدنيا قبل قيام الساعة.

داخِلِهِ أنهارُ الحَياةِ". [39] وقد قَصَدَ بذلِكَ رُوحَ اللهِ الَّتي ستَحِلُّ في المُؤمِنينَ، ولم تَكُن قد حَلَّت رُوحُ اللهِ في داخلِ أحَدٍ بَعدُ، لأنّهُ (سلامُهُ علينا) لم يَكُن قد رُفِعَ إلى ذلِكَ المَقامِ المَهيبِ. [40] وعِندَما سَمِعوا كَلامَهُ هذا، تَعالَت أصواتُ بَعضِ النّاسِ قائلينَ: "حقًّا إنّهُ النَّبيُّ المَوعُودُ الّذي أخبَرَتْنا التّوراةُ بمَجِيئِهِ". [41] وقالَ آخَرونَ: "هو ذاكَ المَسيحُ المُنتَظَرُ". أمّا غَيرُهُم، فكانوا مُتَرَدِّدينَ إذ قالوا: "لَيسَ هو المَسيحَ المُنتَظَرَ، لأنَّ المَسيحَ لن يَأتيَ مِن مِنطقةِ الجَليلِ! [42] وقد ذَكَرَ الزَّبورُ وغَيرُهُ مِن كُتُبِ الأنبياءِ أنّ المَسيحَ مِن ذُرِيّةِ النَّبيِّ داود، ومِن قَريةِ بَيتِ لَحَم، مَسقطِ رأسِ النَّبيِّ داود". [43] وانقَسَمَ النّاسُ في شأنِهِ (سلامُهُ علينا). [44] وأرادَ بَعضُهُم القَبضَ عليهِ إلاّ أنّ أحَدًا لم يَستَطِعِ الإمساكَ بِهِ.

[45] وعادَ حُرّاسُ بَيتِ اللهِ، فسألَهُم كِبارُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ: "لِماذا لَم تُحضِرُوهُ؟" [46] فأجابوا: "لم نَرَ أحَدًا تَكَلَّمَ بِمِثلِ ما يَتَكلّمُ بِهِ هذا الرَّجُلُ أبدًا!" [47] فقالَ لهُمُ المُتَشَدِّدونَ: "أضَلَلتُم أنتُم أيضًا؟ [48] وهل رَأيتُم أحَدًا مِن قادتِنا أو مِن المُتَشَدِّدينَ آمَنَ بِهِ؟ [49] أمّا العامّةُ الجَهَلَةُ، الّذينَ لا يَعرِفونَ شَيئًا مِن الشَّريعةِ، فعليهِم اللَّعنة!" [50] إلاّ أنّ نِقوديموسَ الّذي كانَ واحدًا مِن القادةِ، وهو الّذي التَقَى ذاتَ مَرّةٍ عيسى (سلامُهُ علينا)، قالَ لهُم: [51] "هل تَقضي شَريعَتُنا بالحُكمِ على أحَدٍ دونَ إعطائِهِ فُرصةً للكَلامِ لمَعرفةِ ما قالَ وما فَعَلَ؟" [52] فأجابوهُ: "وهل أنتَ مِن الجَليلِ أيضًا؟ فابحَث في الكُتُبِ السَّماويّةِ لتَعلَمَ أنّهُ لا نَبيَّ يأتي مِن الجَليلِ أبَدًا!"(٢) [53] وهُنا انصَرَفَ الجَميعُ، كُلٌّ إلى وَجهَتِهِ.

---

(٢) كشف المتشدّدون هنا أنّهم ضدّ أهل الجليل إذ كانوا يعتبرونهم خليطًا من رعاع الناس على الرغم من أنّ عددًا من الأنبياء الأوّلين انحدروا من عدة قبائل من بني يعقوب كانت تقيم في منطقة الجليل.

8

الفصل الثّامن

عيسى (سلامُهُ علينا) والمرأة الزّانية

[1] واتَّجَهَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى جَبَلِ الزَّيتونِ، [2] ثُمَّ رَجَعَ إلى حَرَمِ بَيتِ اللهِ فَجرًا، حَيثُ تَجَمهَرَ حَولَهُ النّاسُ، فجَلَسَ بَينَهُم يُرشِدُهُم. [3] وبَعدَ هُنَيهَةٍ جاءَهُ الفُقهاءُ والمُتشدِّدُونَ بامرأةٍ ضُبِطَت أثناءَ الزِّنى، وأَوقَفُوها أمامَ الجُموعِ [4] وقالوا لعيسى (سلامُهُ علينا): "أيُّها المُعَلِّمُ، لقد ضَبَطوا هذِهِ المَرأة وهي تَزنِي، [5] وجاءَ في تَوراةِ سَيِّدِنا موسى أنَّ الزّانِيةَ تُرجَمَ حتّى المَوتِ، فماذا تَقولُ؟" [6] وقد كانَ في سُؤالِهِم ذاكَ مَكيدةٌ يُوقِعونَ بها عيسى (سلامُهُ علينا) ليَتَّهِموهُ ويُحاكِمُوهُ.(٣) أمّا سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) فانحَنى يَخُطُّ على الأرضِ بأصبعِهِ. [7] وعِندَما أَلِحُّوا عليهِ بالسُّؤالِ، اعتَدَلَ في جَلستِهِ، وقالَ لهُم: "مَن كانَ مِنكُم بِلا خَطيئةٍ، فَليَرمِها أوَّلاً بحَجَرٍ". [8] ثُمَّ عادَ للانحِناءِ والكِتابةِ على الأرضِ. [9] وعِندَما سَمِعوا قولَهُ ذلِكَ، أَخَذوا يَنصَرِفونَ الواحِدُ إثرَ الآخَر ابتِداءً مِن كِبارِهِم، حتّى لم يَبقَ سِوى عيسى (سلامُهُ علينا) والمَرأةِ الواقِفةِ وَسَطَ الجُموعِ. [10] فاعتَدَلَ (سلامُهُ علينا) في جَلستِهِ وخاطَبَها قائلاً: "أيَّتُها المَرأةُ، أينَ ذَهَبَ مَنِ اتّهَموكِ؟ ألم يَبقَ أحَدٌ ليَحكُمَ عليكِ بالإعدامِ؟" [11] فأجابَتهُ: "كَلاّ يا سَيِّدي". فقالَ لها: "أنا أيضًا لا أحكُمُ عليكِ. اذهَبي ولا تَعودِي إلى ارتِكابِ الخَطايا".

عيسى (سلامُهُ علينا) نور العالم

[12] ثُمَّ أخَذَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) يُحَدِّثُ النّاسَ: "أنا هو نورُ العالَمِ، مَن يَتبَعُني فلا يَمشِي في الظُّلُماتِ، لأنّي سأُنعِمُ عليهِ بنورِ الحَياةِ". [13] فقالَ

---

(٣) كان محظورًا على اليهود القيام بعملية الإعدام في ظلّ الاحتلال الروماني. لذلك، فإنْ وافقهم سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) وطلب رجم تلك المرأة حتّى الموت، يكون بذلك قد خالف القانون الروماني، وإن برّأها يكون (سلامُهُ علينا) قد خالف شريعة التوراة، فيجدون حينها التّهمة التي يريدون تلفيقها له.

لَهُ بَعضٌ مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ: "إنّكَ تَشهَدُ لِنَفسِكَ وتِلكَ شَهادةٌ لا تَصُحُّ". [14] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "مَعَ أنّي أشهَدُ لنَفسي، فشَهادَتي حَقٌّ، لأنّي أعلَمُ مِن أَينَ جِئتُ وإلى أينَ أذهَبُ، أمّا أنتُم فتَجهَلونَ ذلِكَ. [15] وأحكامُكُم عليَّ مَحدودةٌ بمَقاييسِ البَشَرِ. لَيسَ لي أن أحكُمَ على أحَدٍ، [16] وإذا حَكَمتُ فحُكمي صَحيحٌ لأنّي لا أحكُمُ وَحدي، بل أحكُمُ أنا والوَليُّ الَّذي أرسَلَني. [17] وقد جاءَ عِندَكُم في التّوراةِ أنّ الشَّهادةَ لا تَصُحُّ إلاّ بشاهِدَينِ، [18] وها إنّ الوَليَّ الّذي أرسَلَني يَشهَدُ لي، كَما أشهَدُ لِنَفسي". [19] فقالوا لهُ: "وأينَ وَليُّكَ؟" فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "أنتُم إيّايَ تَجهَلونَ، لذلِكَ تَجهَلونَ وَلِيّي أيضًا. ولو أنّكُم عَرَفتُم حَقيقَتي لعَرَفتُم مَن هُوَ وَلِيّي". [20] قالَ ذلِكَ وهو يُعَلِّمُ النَّاسَ عِندَ بَيتِ المَالِ في الحَرَمِ الشَّريفِ، ولم يَقدِرْ أحَدٌ على القَبضِ عليهِ، لأنّ ساعتَهُ لم تَحِن بَعدُ.

عيسى (سلامُهُ علينا) ينذر من حوله

[21] ثُمّ تابَعَ (سلامُهُ علينا) حَديثَهُ مَعَ مَن حَولَهُ وقالَ لهُم: "سأرحَلُ عَنكُم وتَظَلُّونَ تَبحَثونَ عَنِ المَسيحِ المُنتَظَرِ دونَ طائِلٍ،(٤) فتَموتونَ ولمّا تُغفَرْ ذُنوبُكُم وخَطاياكُم، ولن تستَطيعوا الوُصولَ إلى حَيثُ أنا ذاهِبٌ". [22] وتَساءَلَ حِينَئذٍ قادةُ اليَهودِ فيما بَينَهُم: "أيُّ مَعنًى لقَولِهِ "لن تَستَطيعوا الوُصولَ إلى حَيثُ أنا ذاهِبٌ؟" هل يُريدُ أن يَقتُلَ نَفسَهُ؟!" [23] فأجابَهُم بقَولِهِ: "أنتُم مِن أهلِ الدُّنيا، وأنا مِنَ السَّماءِ. أنتُم مِن هذا العالَمِ وأنا لَستُ مِنهُ، [24] لذلِكَ أقُولُ لكُم: "إن لم تُؤمِنوا بي، فستَموتونَ وخَطاياكُم غَيرُ مَغفورَةٍ". [25] فقالوا لهُ: "ومَن تَكونُ أنتَ؟!" فأجابَهُم سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "أنا مَن أعلَنتُ ذاتي لكُم مُنذُ البِدايةِ، [26] وما زالَ عِندي الكَثيرُ مِن الأُمورِ الَّتي أتَحَدَّثُ فيها عَنكُم، وأُدينُكُم مِن خِلالِها. إنّ الَّذي أرسَلَني هو الحَقُّ، ولا أُخبِرُ العالَمَ إلاّ بما سَمِعتُهُ مِنهُ" [27] ولم يُدرِك هؤلاءِ أنَّهُ (سلامُهُ علينا) كانَ يُشيرُ إلى اللهِ وَليّهِ الحَميمِ. [28] واستَمَرَّ يَقولُ: "الحقَّ الحقَّ أقُولُ لكُم: إنّهُ مَتَى تُعَلِّقونَ سَيِّدَ البَشَرِ

---

(٤) المقصود أنّ هؤلاء لم تكن لديهم لا القناعة ولا الإيمان بأنّه المسيح المنتظر حقًا، لذلك سيظلون يبحثون عن المسيح المنتظر بلا طائل.

على الخَشبةِ، ستُدرِكونَ حَقيقَتي، وأنّ ما يَصدُرُ عنّي مِن أعمالٍ لَيسَ مِن تِلقاءِ نَفسي، إنَّما أتَكَلَّمُ بسُلطةٍ مِن اللهِ أبي الصَّمَدِ، [29] فهو الّذي أرسَلَني وهو مَعي دائمًا ولا يَترُكُني، وأنا أعمَلُ على الدَّوامِ حَسَبَ مَرضاتِهِ". [30] فآمَنَ بِهِ كَثيرونَ.

أولاد النّبيّ إبراهيم (عليه السّلام)

[31] ثُمَّ التَفَتَ إلى الفِئةِ الّتي آمَنَت بِهِ مِنَ اليَهودِ قائلاً: "أنتُم حَقًّا أتباعي إن تَمَسَّكتُم بتَعاليمي، [32] وستَعرِفونَ الحَقَّ، والحقُّ يُحرِّرُكُم". [33] فقالوا: "إنّنا أحفادُ النَّبيِّ إبراهيمَ، فكَيفَ تَقولُ إنّنا سنُصبِحُ أحرارًا ولم نَكُن في يومٍ مِنَ الأيّامِ عَبيدًا لأحَدٍ؟!" (٥) [34] فأجابَهُم سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "الحقَّ أقُولُ لكُم: الإنسانُ عَبدٌ للخَطيئةِ الّتي يَرتكِبُها، [35-36] وكَما يَبقى ابنُ السّيّدِ في دارِ أبيهِ، في حينِ لا يَحقُّ للعَبدِ أن يَبقى في هذِهِ الدّارِ، كذلِكَ أنتُم، يا عَبيدَ الخَطايا والمَعاصي، لَيسَ لكُم بَقاءٌ في الدّارِ الأبَديّةِ. أمّا أنا، فأحظى بمَقامِ ابنِ البَيتِ، وأملِكُ حقَّ التَّصَرُّفِ بتِلكَ الدّارِ الأبَديّةِ، وإن حَرَّرتُكُم أنا بسُلطاني، تَكونونَ في الحَقيقةِ أحرارًا. [37] وإنّي على يَقينٍ أنّكُم أحفادُ النَّبيِّ إبراهيمَ، ولكنَّكُم تَسعَوْنَ إلى قَتلي وصُدُورَكُم عَن كَلِمَتي تُغلِقونَ. [38] وأنا أُحَدِّثُكُم بِما سَمِعتُهُ مِن وَلِيِّي، أمّا أنتُم فتَعمَلونَ بِما حَدَّثَكُم بِهِ وليُّكُم." [39] فأجابوهُ بقَولِهِم: "إبراهيمُ أبونا". فقالَ لهُم (سلامُهُ علينا): "لو كُنتُم حَقًّا أولادَهُ لَعَمِلتُم بِسُنَّتِهِ وسِيرتِهِ، [40] ولكنَّكُم تَبغونَ قَتلي، قَتلي أنا الّذي حَدَّثتُكُم بالحَقِّ الّذي تَعَلَّمتُهُ مِنَ اللهِ، وما كانَ إبراهيمُ لِيَفعَلَ ما تَفعلونَ! [41] وإنّكُم إذ تَقتَرِفونَ ما تَقتَرِفونَ، تَسيرونَ في رِكابِ وَليِّكُم اللَّعينِ!" فقالوا:"كَيفَ تَتَّهِمُنا بِعَدَمِ نَقاءِ أصْلِنا؟ ونحنُ مِن سُلالةِ النّبيِّ إبراهيمَ الشَّريفِ! وما لنا وَليٌّ غَيرُ اللهِ!" (٦)

---

(٥) كان اليهود، لكونهم من سلالة النبي إبراهيم (عليه السّلام)، يعتقدون أنّهم في غنى عن أيّ مرشد روحي أو عن أيّ مخلّص يحرّرهم من العبودية. ولكنّ سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) يقرّر هنا أنّ الانتماء إلى سلالة النبي إبراهيم، أو أيّة سلالة أخرى، لا يعني تميّزًا عن الآخرين، ولا يخلق تفاضلاً بين البشر.

(٦) كان اليهود يعتبرون أنّ مَن لا يجري في عروقه دم النبي إبراهيم (عليه السّلام) ليس من

[42] فقالَ لهُم سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "لو كانَ اللهُ وَليَّكُم فِعلاً لأحبَبتُموني، لأنّني مِن عِندِهِ جِئتُ وعَن حَضرَتِهِ صَدَرتُ، فهو وَحدَهُ الّذي أَرسَلَني، ولم آتِ مِن تِلقاءِ نَفسي. [43-44] هل تَعلَمونَ لِماذا لا تَفهَمونَ كَلامي وتَرفُضونَ رِسالتي؟ ذلِكَ لِكَونِكُم أعوانَ إبليسَ وهو وَليُّكُم، لهذا لَيسَ لكُم المَقدرة على ذلكَ. لِذا أنتُم تَميلونَ لإرضاءِ رَغَباتِهِ لأَنَّهُ هو الَّذي يَسعَى مُنذُ البَدءِ إلى هَلاكِ العَالَمينَ، وقدِ انحَرَفَ عن الحَقّ، ولَيسَ للحقِّ سَبيلٌ إليهِ. ولَيسَ كِذبُهُ -إن كَذِبَ- عَجَبًا، فذاكَ طَبعُهُ، فهو كَذّابٌ وما بِدايةُ الكِذبِ إلاّ مِنهُ. [45] لذلِكَ عِندَما أُحَدِّثُكُم بالحَقّ فمِنَ الطَّبيعي ألاّ تُصدِّقوني. [46] ومَن مِنكُم يَستَطيعُ أن يُبَرهِنَ على خَطيئةٍ ارتَكبتُها؟ إنّي لأقولُ لكُم الحقَّ فلِماذا لا تُصَدِّقونَني؟ [47] مَن كانَ مِن أهلِ اللهِ أَصغى لكَلامِ اللهِ بِكُلِّ سُرورٍ، ولكِنّكُم لكَلامِي رافِضونَ لأنّكُم لَستُم مِن أهلِ اللهِ".

وجود عيسى (سلامُهُ علينا) قبل النّبيّ إبراهيم (عليه السّلام)

[48] فقالَ بَعضُهم: "أَلَيسَ في قَولِنا الحَقُّ: ما أنتَ إلاّ سامِريٌّ يَسكُنُهُ شَيطانٌ". (٧) [49] فأجابَهُم: "لَيسَ مِن شَيطانٍ يَسكُنُني، إنّما أُمَجِّدُ اللهَ أبي الصَّمَدَ الّذي أرسَلَني، وأنتُم تُهينونَني بكَلامِكُم! [50] ولا أُريدُ تَكريمًا لِنَفسي، بلِ اللهُ هو مَن يُكَرِّمُني، فَليَحكُم اللهُ بَيني وبَينَكُم وهو خَيرُ الحاكِمينَ. [51] والحَقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم، إنّ مَن يُطيعُ كلامِي ويَتَّخِذُ سُنَّتي مِنهاجًا، فلَهُ الخُلودُ ولا يَمَسُّهُ المَوتُ". [52] فبادَرَهُ القَومُ بِقَولِهِم: "الآنَ أيقَنَّا، أنّكَ مَسكونٌ بشَيطانٍ! فكَيفَ تدّعي أنّ مَن يَتّبِعُ تَعاليمَكَ لا يَطالُهُ المَوتُ، وكُلّ مَن في هذِهِ الحَياةِ تُرَدُّ عليهِم حِجَارةُ اللُّحُودِ؟ كَذا كانَ حالُ أبينا إبراهيمَ والأنبياءِ مِن بَعدِهِ،

شعب الله المختار. وقد فهم قادة اليهود أنّ سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) كان يتّهمهم بأنهّم خليط أنسال ولا تجري في عروقهم دماء أصيلة، في حين أنّه (سلامُهُ علينا) كان يقصِدُ أنّهم كانوا يقلّدون الشيطان الذي كان وليّهم الحقيقي.

(٧) كان السامريون واليهود على خلاف مستمرّ، فكلّ فريق منهما كان يتّهم الآخر بأنّه ليس من أصل نقيّ. لذلك ظنّ اليهود أنّ المسيح (سلامُهُ علينا) إنّما يقف في صفّ أعدائهم السامريين لأنّه أخذ يشكّك في انتمائهم إلى النبي إبراهيم (عليه السّلام)، فتحدّوه بقولهم إنّ مسًّا شيطانيًا أصابه، وهذا يعني أنّه من المستحيل أن يكون نبيًّا.

الَّذينَ ماتوا أجمَعينَ، [53] فهل أنتَ أعظَمُ مِن النّبيِّ إبراهيمَ أو مِن باقي الأنبياءِ الّذينَ قَضَوا مِن سِنين، مَن تَخالُ نَفسَكَ في العالَمينَ؟" [54-55] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا): "إن رَفَعتُ مَكانَتي بَينَكُم، فلَيسَ ذلكَ بِشَيءٍ يُقابِلُ المَكانةَ الرّفيعةَ الّتي يَرفَعُني إليها اللهُ أبي الصَّمَدُ في الدُّنيا والآخِرة، وإنّكُم لتَدَّعونَ أنّهُ ربُّكُم، رَغمَ أنّكُم لا تَعرِفونَهُ! أمّا أنا فأعرِفُهُ، وأسلُكُ مِنهاجَهُ، فإن قُلتُ غَيرَ ذلكَ أكونُ مِثلَكُم كاذِبًا. [56] لقد تَشَوَّقَ أبوكُم إبراهيمُ أن يَرى يَومَ مَجيئي، فرآهُ وابتَهَجَ ابتِهاجًا عَظيمًا". [57] فانبَرَوا قائلينَ: "كَيفَ رأيتَ النّبيَّ إبراهيمَ ولمّا تَبلُغْ مِن عُمرِكَ الخَمسينَ؟!" [58] فأجابَهُم بقولِهِ: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم، قد كُنتُ قَبلَ أن يُولَدَ إبراهيمُ". [59] فتَناوَلوا حِجارةً ليَرجُموهُ، ولكِنّهُ (سلامُهُ علينا) اختَفى عَنِ الأنظارِ، وانسَحَبَ خارِجَ الحَرَمِ الشَّريفِ.

9

الفصل التّاسع

عيسى (سلامُهُ علينا) يشفي الأعمى

[1] وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) يَمشي في طَريقِهِ، رأى رَجُلاً أصابَهُ العَمى مُنذُ وِلادتِهِ. [2] فسألَهُ أتباعُهُ: "أيُّها المُعَلِّمُ، لقد وُلِدَ هذا الرَّجُلُ أعمى فهل مَرَدُّ ذلِكَ خَطيئتُهُ، أم خَطيئةٌ ارتكَبَها والِداهُ؟!"(٨) [3] فأجابَهُم بقولِهِ: "لا هو أذنَبَ ولا أبَواهُ، إنّما وُلِدَ كَفيفًا لتَظهَرَ قُدرةُ اللهِ فيهِ. [4] ما دامَ الوقتُ نَهارًا فلنَعمَلْ، لأنَّهُ لَيسَ باستَطاعتِنا العَمَلُ عِندَما يُقبلُ اللَّيلُ. لذلِكَ، ما دُمتُ أنا بَينَكم، فيَجِبُ علينا كُلِّنا أن نَقومَ بما أمَرَني اللهُ الّذي أرسَلَني. [5] لأنّي أنا

---

(٨) هذا يعكس المعتقد الذي كان شائعًا آنذاك بأنّ كلّ مرض يصيب الإنسان لا يكون إلاّ بسبب خطيئة ارتكبها ذلك الإنسان. وبناءً على ذلك، فإذا وُلد طفلٌ به عاهةٌ، فمردّ ذلك إلى خطيئة ارتكبهَا أحدُ الوالديْن. حتّى أنّ بعض فقهاء اليهود غالَوْا في هذا المعتقد فادّعوا أنّ الجنين قد يذنب وهو في رحم أمّه. والسيّدُ المسيح (سلامُهُ علينا) يُنكر هنا ذلك الربط بين إعاقة هذا الرجل وبين آثام معيّنة. غير أنّنا نرى في بعض المواضع من الإنجيل أنّ بعض البلايا تكون نتيجة لارتكاب أصحابها الآثام.

نورُ العالَمِ". [6] ثُمّ عَجَنَ (سلامُهُ علينا) بِرِيقِهِ عَجينةً مِن طينٍ ووَضَعَها على عَينَيِ الأعمى [7] وقالَ لهُ: "امضِ واغتَسِلْ في بِركةِ سِلوانَ". ومَعناها "مُرسَل". فاغتَسَلَ الكَفيفُ وأصبَحَ بَصيرًا.

[8] فتَساءَلَ جِيرانُ هذا الرَّجُلِ وكُلُّ مَن عَرَفَهُ شَحّاذًا: "أَلَيسَ هذا هو الرَّجُلُ الّذي كانَ يَجلِسُ يَستجدي المارّة؟" [9] فأجابَ بَعضُ الحُضور: "نعم." وقالَ آخَرونَ: "لا، بَل يُشبِهُهُ." أمّا هو فقالَ بإصرارٍ: "أجل، أنا هو ذاكَ الرَّجُلُ!" [10] فقالوا لَهُ: "فَكَيفَ أصبَحتَ بَصيرًا؟" [11] فأجابَهُم: "إنّ الرَّجُلَ الّذي اسمُهُ عِيسَى، صَنَعَ طينًا ووَضَعَهُ على عَينيَّ وقالَ لي: اِذهَبْ إلى سِلوان واغتَسِلْ. فذَهَبتُ واغتَسَلتُ وأَصبَحتُ بَصيرًا." [12] فقالوا لَهُ: "وأينَ هو الآن؟" فأجابَ: "لا أدري."

استجواب الأعمى الّذي شفاه عيسى (سلامُهُ علينا)

[13-14] وصادَفَ أن كانَ اليَومُ الّذي مَنّ فيهِ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) على الكَفيفِ بالبَصَرِ، يومَ سَبتٍ. فأُخِذَ الأعمى إلى المُتَشَدِّدينَ، [15] وسأَلوهُ: "كَيفَ أَصبَحتَ مُبصِرًا؟" فأجابَهُم: "وَضَعَ عيسى على عَينيَّ طينًا ثُمَّ أمَرَني أن أغتَسِلَ فأطَعتُهُ وأبصَرتُ". [16] عِندَئِذٍ غَضِبَ بَعضُ المُتَشَدِّدينَ قائلينَ: "هذا الرَّجُلُ لَيسَ مُرسَلاً مِنَ اللهِ! إنّهُ يَنتَهِكُ حُرمةَ السَّبتِ!" وقالَ آخرُونَ في حَيرةٍ: "كَيفَ يُمكِنُ لرَجُلٍ آثَمٍ أن يُظهِرَ تِلكَ المُعجِزاتِ؟!" ووَقَعَ بَينَهُم خِلافٌ، [17] فعادوا يَسألونَ المُبصِرَ: "وما تَقولُ فيهِ أنتَ وقد جَعَلَكَ مُبصِرًا؟" فأجابَهُم: "إنّهُ لَنَبيٌّ!" [18] فنَهَرَهُ قادةُ اليَهودِ وكَذَّبوهُ، مُرتابينَ أن يَكونَ قد وُلِدَ كَفيفًا ثُمَّ أصبَحَ مُبصِرًا، فاستَدعَوا والِدَيهِ ليَسأَلُوهُما: [19] "أهذا هو ابنُكُما الّذي تَقولانِ إنّهُ وُلِدَ كَفيفًا؟ وإن كانَ قد وُلِدَ كَفيفًا فكَيفَ يُبصِرُ الآن؟!" [20] فأجابا: "نحنُ نَعلَمُ بأنّهُ ابنُنا وأنّهُ وُلِدَ كَفيفًا، [21] وأمّا كَيفَ أصبَحَ مُبصِرًا ومَنِ الَّذي مَنَحَهُ البَصَرَ، فهذا ما لا نَدريهِ. فلكُم أن تَسألوهُ فهو يَستَطيعُ إجابتَكُم عن سُؤالِكُم هذا، إنّهُ بالِغٌ عاقِلٌ". [22-23] وقد ذَكَرَ الوالِدانِ ذلِكَ خَوفًا مِن قادةِ اليَهودِ الّذينَ أعلَنوا أن يَمنَعوا بَيتَ العِبادةِ عن كُلِّ مَن يَشهَدُ بأنّ عيسى (سلامُهُ علينا) هو المَسيحُ المُخَلِّصُ المُنتَظَرُ. [24] وعادَ المُتشدِّدونَ ليَسألوا الرَّجُلَ الّذي كانَ كَفيفًا قائلينَ: "نَستَحلِفُكَ باللهِ أن تَقولَ الحقَّ! فنحنُ نَعلَمُ أنّ

هذا الرَّجُلَ في ضَلالٍ مُبينٍ". [25] فأجابَهُم: "أضالٌّ هو أم لا، لَستُ أعلَمُ. لكنّني أعلَمُ شَيئًا واحدًا: كُنتُ أعمَى والآن أُبصِرُ!" [26] وعادوا فقالوا: "كَيفَ جَعَلَكَ مِن المُبصِرينَ؟" [27] فقالَ: "لقد أخبَرتُكُم بما فَعَلَ لكنَّكُم لم تُصدِّقوا، فلِمَ أُعيدُ على مَسامِعِكُم ما قُلتُهُ سابقًا، أَلَعَلَّكُم في اتّباعِهِ راغِبونَ؟" [28] فاستَشاطوا مِنهُ غَضَبًا وشَتَموهُ قائلينَ: "أنتَ مِن أتباعِهِ، أمّا نحنُ فأتباعُ النَّبيِّ موسى! [29] نَحنُ نَعلَمُ أنَّ اللهَ كَلَّمَ النّبيَّ موسى، أمّا هذا، فلا نَعرِفُ لهُ أصلاً!" [30] فأجابَهُم: "عَجَبًا لكُم! أنتُم لا تَدرونَ شَيئًا عن هذا الشَّخصِ ولا تَعرِفونَ مَن يَكونُ، ولكنّهُ جَعَلَني أُبصرُ، [31] ونحنُ نَعلَمُ أنَّ اللهَ يَستَجيبُ للتُّقاةِ العاملينَ على طاعتِهِ، دونَ الضّالّينَ، [32] ونحنُ لم نَسمَع على مَدى الزّمانِ بمَن استَطاعَ أن يَجعَلَ مَن وُلِدَ أعمَى مُبصِرًا! [33] ولو لم يَكُن هذا الرَّجُلُ مُرسَلاً مِنَ اللهِ، لمَا كانَ باستِطاعتِهِ فِعلُ هذِهِ المُعجِزةِ". [34] فأجابوهُ: "أنتَ يا مَن تَحمِلُ الآثامَ مُنذُ وِلادتِكَ، كَيفَ تُريدُ إرشادَنا!؟" وطَرَدُوهُ خارِجًا.

عمى البصيرة

[35] ووَصَلَ إلى مَسمَعِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) بأنّ الرَّجُلَ قد طُرِدَ، فسَعى إلى لقائِهِ وقالَ لهُ: "أتُؤمِنُ بسَيِّدِ البَشَرِ؟" [36] فأجابَهُ الرَّجلُ: "ومَن هو، يا سَيِّدي، حتّى أُؤمِنُ بِهِ؟" [37] فقالَ لهُ (سلامُهُ علينا): "هو مَن تَراهُ أمامَكَ يُكلِّمُكَ". [38] فأجابَهُ الرَّجُلُ قائلاً: "قد آمَنتُ بكَ يا سَيِّدي!" وانحَنى أمامَهُ. [39] فقالَ (سلامُهُ علينا): "قد جِئتُ إلى هذا العالَمِ ليُبصِرَ أعمَى البَصَرِ، ولأُبيِّنَ للَّذينَ يَزعُمونَ بأنَّهم بأُمورِ اللهِ مُبصِرونَ أنّهُم في عَماهُم مُدلِجونَ". [40] وسَمِعَهُ بَعضُ المُتشدِّدينَ الحاضِرينَ، فقالوا لهُ مُنكِرينَ: "أتَقصُدُ أنّنا نحنُ أيضًا عُميانٌ وأنّنا عن أُمورِ اللهِ مُبعَدونَ؟" [41] فأجابَهُم: "لو كُنتُم عُميانًا، ما كانَ عليكُم مِن ذَنبٍ، ولكنّكُم تَزعُمونَ أنّكُم مُبصرونَ فأنتُم في مَعاصِيكُم قابِعونَ".

10

الفصل العاشر

عيسى (سلامُهُ علينا) الرّاعي الصّالح

[1] ثُمَّ قالَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، إنّ مَن لا يَدخُلُ حَظيرةَ الخِرافِ مِن بابِها، بل يَتَسَلّقُ سُورَها ويَنسَلُّ إليها مِن مَكانٍ آخرَ، لا يَكونُ إلاّ لِصًّا مُجرمًا، [2] لأنّ مَن يَدخُلُها مِن بابِها هو الرّاعي، [3-5] وحارسُ الحَظيرةِ يَفتَحُ لهُ البابَ، فإذا دَخَلَها تَحَلَّقَ حَولَهُ قَطيعُهُ دونَ باقي القِطعانِ الّتي في الحَظيرةِ، وأصغى إلى صَوتِهِ الّذي أَلِفَهُ، فإذا نادى خِرفانَ قَطيعِهِ بأسمائِهِم تجَاوبَت كُلُّ حَسَبَ دورِه ثُمّ يَقودُها إلى المَراعي، سائرًا في مُقدِّمَتِها. وهي تَتبَعُهُ لأنّها تَعرِفُ صَوتَهُ، ولو لم يَكُن ذاكَ راعيَها الحَقيقيَّ لفَرَّت مِنهُ لأنّها تُميِّزُ صَوتَ الغَريبِ". [6] ولقد ضَرَبَ لهُم سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) ذلِكَ المَثَلَ، فما أدرَكوا مَغزاهُ، وما فَقهُوهُ، [7] ولمّا عَلِمَ عَدَمَ فَهمِهِم التَفَتَ إليهِم مُوضّحًا: "أقولُ لكُم الحَقَّ اليَقينَ، أنا بَوّابةُ الأمانِ للخِرافِ، [8] وكُلُّ مَنِ ادَّعى ذلِكَ قَبلَ مَجيئي فهو لِصٌّ مُجرِمٌ، لذا لم تُصغِ الخِرافُ إلى صَوتِهِ. [9] أجل، أنا هو تِلكَ البَوّابةُ، ومَن آمَنَ بي ولَحِقَ بجَماعةِ المُؤمنينَ فقد نَجا، وكَما تَمضي الخِرافُ بأمانٍ إلى المَرعَى، سيَمضِي المؤمنونَ بي بأمانٍ وسَلامٍ. [10] وما أتى السّارقُ إلاَّ ليَسرِقَ ويَذبَحَ ويُهلِكَ، أمّا مُهمَّتي الّتي جِئتُ مِن أجلِها فهي حِفظُ الحَياةِ وهِبَةُ الخُلودِ، خُلودٍ يَفيضُ هَناءً وخَيرًا.

[11] أنا هو الرّاعي الصّالحُ، والرّاعي الصّالحُ يُضحّي بنَفسِهِ مِن أجلِ رَعيَّتِهِ. [12-13] ولَيسَ الأجيرُ كصاحِبِ الخِرافِ وراعيها، فالأجيرُ إذا رَأى الذِّئبَ مُقبِلاً وَلّى هارِبًا وتَرَكَ الخِرافَ فَريسةً لهُ يَهجِمُ عليها ويُبَدِّدُها، وما كانَ ليَأبَهَ لذلِكَ فهو لَيسَ بصاحِبِها. [14] أمّا أنا فإنّي ذاكَ الرّاعي الصّالحُ، الّذي يَعرِفُ أتباعَهُ وهم يَعرِفونَهُ، [15] مِثلَما أعرِفُ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ وهو يَعرِفُني. أنا أُضحّي بحَياتي لأنقِذَ أتباعي. [16] ولي أتباعٌ آخرونَ مِن غَيرِ هذا الشَّعبِ، عليّ أن أضُمَّهُم إلى رَعيَّتي أيضًا، إنّهُم سيُصغونَ إلى صَوتي كَما

أصغى إليّ المؤمِنونَ بي قَبلَهُم، فتُصبِحُ الرَّعيّة رَعيّةً واحدةً ولها راعٍ واحدٌ. [17] وأقولُ لكُم إنّ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ يُحِبُّني لأنّني أُضَحّي بحَياتي حتّى أنالَها ثانيةً. [18] وما مِن أحَدٍ يَنتَزِعُ حَياتي مِنّي، بل أنا أُضحّي بها بِمِلْءِ إرادتي وساعةَ أشاءُ، ولقد أوصاني اللهُ أبي الصَّمَدُ بهذا، وأعطاني حَقَّ أن أُضحّي بها وحقَّ أن أنالَها ثانيةً".

[19] واختَرَقَ المُحتَشِدينَ خِلافٌ حادٌّ مَرَّةً أُخرَى لِما في كَلامِهِ من مَعانٍ، [20] فانبَرى كَثيرونَ مِنهُم يَقولونَ: "ما هذا إلاّ رَجُلٌ مَجنونٌ، يَسكُنُهُ شَيطانٌ لَعينٌ، فلِمَ تُلقونَ إليه بأسماعِكُم؟!" [21] وقالَ آخرونَ: "ما هذا بكَلامِ مَن بِهِ مَسٌّ، وهل يَقدِرُ مَن تَسكُنُهُ الجانُ أن يُعطِي الأعمى بَصَرًا؟!"

عيسى (سلامُهُ علينا) ورفض القادة اليهود له

[22] وفي الشِّتاءِ، عِندَ حُلولِ عِيدِ التَّجديدِ في القُدسِ،(٩) [23] وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) يَسيرُ في قاعةِ سُليمانَ في الحَرَمِ الشَّريفِ، [24] تَجَمَّعَ حَولَهُ حَشدٌ مِن قادةِ اليَهودِ وقالوا لهُ: "إلى مَتى تُبقينا في حَيرةٍ مِن أمرِكَ؟ فإن كُنتَ المَسيحَ المُنتَظَرَ حقًّا فصارِحْنا بذلِكَ!" [25] فأجابَهُم: "قد قُلتُها لكُم صَراحةً، إلاّ أنّكُم لا تُصَدِّقونَ، وكُلُّ ما فَعَلتُ مِن المُعجِزاتِ كانَت باسمِ اللهِ أبي الصَّمَدِ، وهي الّتي تَشهَدُ أمامَكُم بحَقيقَتي، [26] ولكنّكُم لا تُؤمِنونَ، لأنّكُم لَستُم مِن رَعيَّتي. [27] فأتباعي أنا أعرِفُهُم، ورَعيّتي لصَوتي يُصغُونَ، وإيّايَ يَتَّبِعونَ، [28] وعَنِ النّارِ مُبعَدُونَ، لأنَّني أمنَحُهُم الخُلودَ في الآخرَة، ولا أحَدَ يَقدِرُ أن يَختَطِفَهُم مِنّي، [29] لأنّ الّذي مَنَحَني إيّاهُم هو اللهُ الأبُ الصَّمَدُ القَديرُ، وهو فَوقَ الجَميعِ، ومَن ذا الّذي يَنتَزِعُ مِنَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ شَيئًا؟ [30] وإنّي والأبُ الرَّحمنُ واحدٌ". [31] ومَرَّةً أُخرى، تَناوَلَ قادةُ اليَهودِ الحِجارةَ لرَجمِهِ. [32] فأجابَهُم سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بقَولِهِ: "ما صَدَرَ عنّي بأمرِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ سِوى أعمالٍ صالحةٍ بَيَّنتُها للمَلأ، فلأيِّ عَمَلٍ صالحٍ مِنها تَبغونَ رَجمي؟" [33] فأجابوهُ قائلينَ: "نحنُ لا نَبغي رَجمَكَ لأعمالٍ صالحةٍ،

---

(٩) عيد التجديد هو عيد يتذكّر فيه اليهود تجديد بيت الله المقدّس سنة 164 ق.م. وتطهيره بعد أن دنّسه الملك الوثني أنطيوخس إبيفانس بتقديمه خنزيرًا فيه ذبيحةً.

بل لِكُفرِكَ، فما أنتَ إلاّ إنسانٌ، ولكنّكَ تَدَّعي أنَّك رَبٌّ". [34] فقالَ لهُم (سلامُهُ علينا): "جاءَ في الزَّبورِ أنّ اللهَ خاطَبَ بَعضَ قادةِ الشَّعبِ قائلاً: "أنا قُلتُ إنّكم أربابٌ". [35] والكِتابُ دائمًا على حَقٍّ، فإذا كانَ لَقَبُ أربابٍ يُطلَقُ على مَن جاءَتهُم رسالةُ اللهِ، [36] فلِماذا تَدَّعونَ بأنَّني كافِرٌ عِندَما أقولُ بأنّي الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، أنا الّذي اختارَهُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ فأرسَلَهُ إلى العالَمِ؟ [37] ولكُم أن تُكذِّبوني إن لم أقُم بما أمَرَني بِهِ اللهُ أبي الصَّمَدُ مِن أعمالٍ، [38] أمّا إن كُنتُ قد قُمتُ بتِلكَ الأعمالِ فصَدِّقوها، حتّى لو لم تُصدِّقوني، لأنّ أعمالي مُصَدِّقةٌ لقَولي، واعلَموا بأنّ اللهَ الأبَ الرَّحمنَ في ذاتي وأنا في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمن". [39] وحاوَلَ الحاضِرُونَ القَبضَ عليهِ مَرّةً أُخرى، إلاّ أنّهُم لم يُفلِحوا، لأنّهُ أفلَتَ مِن بَينِ أيديهِم.

[40] ورَجَعَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى الضِّفَّةِ الشَّرقيَّةِ مِن نَهرِ الأُردُنّ، حَيثُ كانَ النّبيُّ يَحيى (عليه السّلام) يُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ قَبلَ ذلِكَ الوَقتِ. وأقامَ (سلامُهُ علينا) هُناكَ. [41] فجاءَهُ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ، وكانوا يَقولونَ: "يَحيى لم يَقُم بعَمَلِ المُعجِزاتِ، ولكنَّهُ كانَ يُحدِّثُ عن هذا الرَّجُلِ، وكُلُّ ما قالَهُ عَنهُ صَحيحٌ". [42] وآمَنَ بِهِ هُناكَ كَثيرونَ.

11

الفصل الحادي عشر

موت لعازر

[1] وكانَ في قَريةِ بَيتِ عَنْيا رَجُلٌ مَريضٌ هو لَعازَرُ شَقيقُ مَرْثا ومَريمَ، [2] وهي المَرأةُ الّتي ستَسكُبُ فيما بَعدُ العِطرَ على قَدَمَي عيسى (سلامُهُ علينا) وتَمسحُهُما بشَعرِها. [3] فأرسَلَت الشَّقيقتانِ إلى سَيِّدِنا عيسى تَقولانِ: "يا سَيِّدَنا، إنّ مَن تُحِبُّ مَريضٌ". [4] ولمّا بَلَغَهُ (سلامُهُ علينا) استِنجادُهُما قالَ: "لن يُؤدِّي مَرَضُ لَعازَر إلى مَوتِهِ فحَسبُ، وإنّما سيَكونُ لرَفعِ ذِكرِ اللهِ أيضًا، إذ بِهِ يُرفَعُ ذِكرُ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ". [5] ورَغمَ أنّهُ (سلامُهُ علَينا) كانَ يُحِبُّ أفرادَ هذِهِ العائلةِ [6] فإنّهُ لم يَهرع إليها عِندَ سَماعِهِ بمَرَضِ لَعازَر بل

مَكَـثَ يَـومَيْنِ [7] قَبـلَ أن يَقـولَ لأتباعِـهِ: "آنَ أوانُ العَـودةِ إلـى يَهـوذا". [8] فاعتَرَضَ أتباعُهُ على ذلِكَ قائلينَ: "أيا سَيِّدَنا، كَيفَ تَرجِعُ إلى يَهوذا، وقد حـاوَلَ قادتُهـا رَجمَـكَ؟!" [9-10] فقـالَ لهُـم (سـلامُهُ علينـا): "ومِثلَمـا جَعَـلَ اللهُ للنّهـارِ اثنتَـي عَشَـرةَ سـاعةً، وكُـلُّ مَـن يَسـيرُ فيهـا لا يَعثَـرُ لأنّـهُ يَمشـي فـي ضَوئِهِ، كذلِكَ حَدَّدَ لـي وَقتًـا لأقومَ فيهِ بأعمـالي. ومَـن لا يَسيرُ فـي نـورِ اللهِ فسيَعثُرُ كأنّهُ تائهٌ فـي عَتمَـةِ اللّيلِ". [11] ثُمّ أخبَرَهُم: "نـامَ لَعـازَرُ حَبيبُنـا، وأنـا ذاهِبٌ إليهِ لأوقِظَهُ". [12] فأجابَهُ أتباعُهُ: "يا سَيِّدَنا، إن كانَ قد نامَ، فعَمّا قَريـبٍ سـيَتِمُّ لـهُ الشِّـفاءُ". [13] ولقـد أشـارَ سَـيِّدُنا عيسـى (سـلامُهُ علينـا) بـالنَّومِ إلـى المَوتِ، ولكنّ أتباعَهُ لم يَفطِنوا إلى إشارتِهِ. [14] فقـالَ مُوَضِّحًـا مَقصَـدَهُ: "لقد ماتَ لَعـازَرُ، [15] وإنّـي لمَسرُورٌ إذ لـم أكُـن هُنـاكَ، لأنَّ هـذا سيَمنَحُكُم فُرصـةً أُخرَى حتّى يَرسُخَ إيمانُكم بي. فلنَذهَبْ إليهِ". [16] فقالَ توما الّذي لُقِّبَ بـالتوأمِ لباقي زُملائِهِ: "لنُرافِقْهُ، حتّى إذا قتَلَهُ أهلُ يَهوذا، نَموتُ نحنُ أيضًا مَعَهُ". (١)

عيسى (سلامُهُ علينا) يقدّم عزاءَه للشّقيقتين

[17] وعِندَ وُصُولِهِ (سلامُهُ علينـا)، عَلِمَ أنّ لَعـازَرَ قد دُفِنَ مُنذُ أربَعـةِ أيّـامٍ. [18] وكانَت قَريةُ بَيتِ عَنيا تَبعُدُ تَقريبًا مَسافةَ ميلَينِ عَن القُدس، [19] وقد وَجَدَ (سلامُهُ علينـا) عَدَدًا كَبيرًا مِنَ النّاسِ جاؤوا لتَقديمِ التَّعازي للشَّقيقَتَينِ عن أخيهِمـا لَعـازَرَ، [20] وعِنـدَما عَلِمَـت مَرثـا بقُدُومِـهِ (سـلامُهُ علينـا)، أسـرَعَتْ لِلقائِهِ، في حينِ مَكَثَت مَريمُ في الدّارِ. [21] وقالَت مَرثا لسَيِّدِنا عيسـى (سـلامُهُ علينا): "سَيِّدي، لـو كُنتَ مَعَنـا لَظَلَّ أخـي علـى قَيدِ الحيـاةِ، [22] ولكنّنـي رَغمَ موتِهِ، على ثِقةٍ، بـأنّ اللهَ يُعطيكَ كُلَّ مـا تَطلُبُـهُ!" [23] فأجابَهـا مؤكّـدًا: "سيَقومُ أخوكِ حَيًّا". [24] فقالَت لهُ مَرثا: "نعم، يا مَولاي، عِندَما يُبعَثُ كُلُّ المَوتى فـي اليـومِ الآخِـرِ!" [25] فقـالَ لهـا: "أنـا القِيامـةُ والحَيـاةُ، مَـن آمَـنَ بـي ولـو مـاتَ فستَكونُ لهُ حَياةُ الخُلودِ، [26] وكُلُّ مَن يَحيا مؤمنًا بي سيَعيشُ خالدًا عِندَ رَبِّـهِ. فهل تُؤمنينَ؟!" [27] فقالَت لهُ: "أجل يـا مَـولاي، مـا زِلـتُ علـى عَهدي مُؤمِنَـةً

---

(١) كان توما يقصد هنا أنّ الذين كانوا يرغبون في رجم سيّدنا عيسى (سلامُهُ علينا) في منطقة يهوذا سيسعون إلى نفس الهدف عند عودته إلى هناك.

بأنّكَ أنتَ المَسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، الّذي كُنّا نَنتَظِرُ مَجِيئَهُ إلى هذا العالَمِ".
28 ثُمَّ ذَهَبَت مَرثا إلى أختِها وهَمَسَت إليها: "المُعَلِّمُ هُنا ويُريدُ لقاءَكِ".
29 فقامَت مَريمُ وتَوَجَّهَت إليهِ على عَجَلٍ. 30 ولكنّهُ (سلامُهُ علينا) لم يَكُن قد وَصَلَ إلى القَريةِ بَعدُ، إذ كانَ لا يَزالُ حَيثُ قابلَتْهُ مَرثا. 31 وعِندَما رأى النّاسُ الّذينَ جاؤوا للعَزاءِ عَجَلَةَ مَريمَ، ظَنُّوا أنّها تَوَجَّهَت إلى قَبرِ أخيها لتَبكيَ هُناكَ. فخَرَجوا وَراءَها، 32 وعِندَ وُصولِهِم جَميعًا إلى حَيثُ كانَ عيسى (سلامُهُ علينا)، رَمَت مَريمُ بنَفسِها عِندَ قدمَيهِ، باكيةً قائلةً: "يا مَولاي، لو كُنتَ مَعَنا لَما ماتَ أخي". 33 ولمّا رأى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بُكاءَها ونَشيجَ مَن مَعَها، جاشَت عَواطِفُهُ 34 وقالَ: "أينَ دَفَنتمُوهُ؟!" فقالوا لهُ: "تَعال يا سَيِّدَنا، وانظُر إليهِ". 35 فبَكى (سلامُهُ علينا) مِن شِدَّة تأثُّرِهِ، 36 وقالَ مَن كانَ حَولَهُ: "انظرُوا إليهِ كَم كانَ يُحِبُّ لَعازَرَ!" 37 وقالَ آخَرونَ: "لقد أعطَى الكَفيفَ بَصرًا، أفما كانَ يَقدِرُ أن يَرُدَّ الموتَ عن لَعازَرَ؟!" 38 وجاشَت عَواطِفُهُ مُتأثِّرًا مَرَّةً ثانيةً. بَعدَ ذلِكَ وَصَلَ إلى القَبرِ الّذي لم يَكُن سِوى مَغارةٍ يَسُدُّ مَدخلَها حَجَرٌ.

عيسى (سلامُهُ علينا) يُحيي لعازر

39 والتَفَتَ (سلامُهُ علينا) إلى مَن حَولَهُ قائلاً: "أزيحوا الحَجَرَ!" فقالَت مَرثا: "يا مَولاي، لقد طَغَت رائحةُ جُثمانِهِ على الهَواءِ إذ قد مَضَت أربَعةُ أيّامٍ على وفاتِهِ!" 40 فأجابَها (سلامُهُ علينا): "ألم أُخبِركِ أنّكِ إن آمَنتِ بي فستَشهَدينَ تَجليّاتِ اللهِ؟!" 41 وأزاحُوا الحَجَرَ، ورَفَعَ (سلامُهُ علينا) بَصَرَهُ إلى السَّماءِ مُخاطِبًا رَبَّهُ: "لكَ الحَمدُ يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ على فَضلِ جَوابِكَ لي. 42 وإنّي على يَقينٍ أنّكَ تَستجيبُ لي دائمًا وما أقولُ ذلِكَ على المَلأ المُجتَمعِ حَولي إلاّ ليُوقِنوا أنّكَ أنتَ الّذي أرسَلتَني". 43 ثُمّ صاحَ بأعلى صَوتِهِ: "أُخرُج يا لَعازَرُ!" 44 فخَرَجَ لَعازَرُ وقد قُيِّدَ بالأكفانِ وعُصِبَ وَجهُهُ بمِنديلٍ. فقالَ لهُم سَيِّدُنا عيسى: "فُكّوا عَنهُ قُيودَ المَوتِ ودَعُوهُ يَذهَبُ".

التّآمر لأجل قتل عيسى (سلامُهُ علينا)

45 وهكذا آمَنَ كَثيرٌ مِمَّن كانوا مَعَ مَريمَ والّذينَ رأَوا بأُمِّ أعيُنِهِم ما قامَ بِهِ

سَيِّدُنا عيسى. [46] غَيرَ أنَّ بَعضَهُم تَوَجَّهَ إلى المُتَشَدِّدينَ وأخبرُوهُم بهذِهِ المُعجِزةِ. [47] فعَقَدَ رؤساءُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ اجتِماعًا للمَجلسِ الأعلى لمُناقشةِ شأنِهِ وقالوا: "ما الّذي علينا القيامُ بِهِ؟ فلهذا الرَّجُلِ ولا شَكَّ مُعجِزاتٌ كَثيرةٌ يُظهِرُها! [48] ونحنُ إن تَرَكناهُ على حالِهِ هذِهِ آمَنَ بِهِ جَميعُ الشَّعبِ، وسيأتي إلينا الجَيشُ الرُّومانيُّ حِينئذٍ ويُدَمِّرونَ بيتَ اللهِ فتَتَبَدَّدُ أُمّتُنا". [49] فقامَ قَيافا الّذي كانَ رَئيسَ الأحبارِ في ذاكَ الوَقتِ وقالَ: "أنتُم الجَهَلةُ لا تُدرِكونَ مِن هذا الأمرِ شَيئًا! [50] ألا تَعلَمونَ أنَّهُ خَيرٌ لكُم أن يَمُوتَ رَجُلٌ واحدٌ فِداءً للأُمّةِ مِن أن تَهلِكَ كاملُ الأُمَّةِ؟!" [51] وما ذَكَرَ قَيافا ذلِكَ بصِفتِهِ الشَّخصيّةِ، بل بصِفتِهِ رَئيسًا للأحبارِ، وتَنَبّأَ أنَّ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) سيُقتَلُ فِداءً للأُمَّةِ، [52] ولَيسَ لأُمّتِهِم وَحدَها بل لجَميعِ عِيالِ اللهِ المُشَتَّتينَ في جَميعِ الأنحاءِ، وبذلِكَ يَجمَعُهُم مَوتُهُ في أُمَّةٍ واحدةٍ. [53] فقَرَّرَ قادةُ اليَهودِ، مُنذُ ذلِكَ الحينِ، قَتلَ عيسى (سلامُهُ علينا).

[54] ولهذا السَّبَبِ امتَنَعَ (سلامُهُ علينا) عن الظُّهورِ عَلَنًا على المَلأ، ورَحَلَ عن القُدس إلى مِنطقةٍ مُجاورةٍ للبَراري، في بَلدةٍ اسمُها أفرايم، وأقامَ فيها مَعَ أتباعِهِ. [55] ومَعَ اقتِرابِ عِيدِ الفِصحِ اليَهوديّ، تَوَجَّهَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِن أهالي القُرى إلى بَيتِ المَقدِسِ لتَأديَةِ فَريضةِ التَّطَهُّرِ قَبلَ العِيدِ، [56] وكانوا يَبحَثونَ عن عيسى (سلامُهُ علينا)، ويَتَساءلونَ وهُم يَقِفونَ في الحَرَمِ الشَّريفِ: "أيُشارِكُ في العِيدِ أم لا؟!" [57] وقد كانَ قادةُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ قد أصدَروا أمرًا أنّ كُلَّ مَن يَعرِفُ مَكانَهُ عليهِ أن يُخبِرَهُم بِهِ حتّى يَقبِضوا عليهِ.

12

الفصل الثّاني عشر

العطر يُسكب على قدمي عيسى (سلامُهُ علينا)

[1] وقَبلَ حُلولِ عِيدِ الفِصحِ بسِتّةِ أيّامٍ، قَدِمَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى قَريةِ بَيتَ عَنيا، حَيثُ كانَ يُقيمُ لعازَرُ الّذي بَعَثَهُ مِن المَوتِ، [2] فهَيَّؤُوا لَهُ عَشاءً تَكريمًا لهُ واحتِفاءً بِهِ، وأخَذَت مَرثا تقومُ على خِدمةِ الحاضرينَ،

وكانَ لعازَرُ أحَدَ الجالِسينَ مَعَهُ إلى المائدةِ. [3] فانبَرَت مَريمُ إلى قارورةٍ مِنَ النّاردينِ الخالِصِ، وهو عِطرٌ غالي الثَّمَنِ، فسَكَبَتها على قَدَمَيهِ، ثُمَّ مَسَحَتهُما بشَعرِها، فأصبَحَتِ الدّارُ عابِقةً برائحةِ العِطرِ. [4] فقامَ يَهوذا الإسخَريوطيّ وهو أحَدُ حَواريّيهِ (سلامُهُ علينا) وهو الّذي سيَخونُهُ فيما بَعدُ، وقالَ مُحتَجًّا: [5] "يا لهذا الإسراف، أما كانَ يُمكِنُ بَيعُ هذا العِطرَ بمَبلغٍ يُعادِلُ أُجرةَ عاملٍ لمُدَّةِ سَنةٍ ويُوَزَّعُ على الفُقراءِ!" [6] ولم يَكُن يَهوذا صادقًا في كلامِهِ لأنّهُ كانَ لِصًّا لا يأبَهُ لِحالِ الفُقراءِ وكانَ يَختَلِسُ مِن صُندوقِ مالِ العَطايا والتَّبَرُّعاتِ الّذي كانَ بحَوزتِهِ،(٢) [7] فأجابَهُ عيسى (سلامُهُ علينا): "دَعْها وما فَعَلَت، فقد حَفِظَت هذا العِطرَ ليَومِ دَفني، [8] وإنّي أقولُ لكُم: إنّ الإحسانَ إلى الفُقراءِ بإمكانِكُم في كُلِّ حِينٍ، ولكنّي راحِلٌ ولن أبقى مَعَكُم على الدَّوام".

مؤامرة لقتل لعازر

[9] وتَناهى إلى سَمعِ كَثيرٍ مِنَ النّاسِ وصولُ سَيّدِنا عيسى إلى بَيتِ لَعازَرَ، فتَوَجَّهوا إليهِ ليَرَوهُ (سلامُهُ علينا) وليُعاينوا لَعازَرَ الّذي أحياهُ. [10] وقَرَّرَ رؤساءُ الأحبارِ حِينَئذٍ قَتلَ لَعازَرَ، [11] إذ بسَبَبِهِ كانَ النّاسُ يَترُكونَهُم ويَتّجِهونَ إلى عيسى (سلامُهُ علينا) ويؤمِنونَ بهِ.

القدس تستقبل عيسى (سلامُهُ علينا)

[12] وفي اليَومِ التّالي عَلِمَتِ الحُشودُ الّتي جاءَت للاحتِفالِ بعِيدِ الفِصحِ أنّهُ (سلامُهُ علينا) في طَريقِهِ إلى القُدس، [13] فخَرَجوا يَحمِلونَ سَعَفَ النَّخيلِ لاستِقبالِهِ ويَهتِفونَ: "ليَحيا المَلِكُ المُنقِذُ! تَبارَكَ المَلِكُ الآتي باسمِ اللهِ، تَبارَكَ مَلِكُ بَني يَعقوبَ!" [14] وعِندَ وصولِهِ (سلامُهُ علينا) وَجَدَ جَحشًا، فرَكِبَهُ مُحَقِّقًا ما جاءَ في كِتابِ النّبيِّ زَكَريّا عَنهُ: [15] "يا أهلَ القُدسِ، لا تَخافوا، إنّ مَلِكَكُم آتٍ إليكُم مُسالِمًا يَمتَطي ظَهرَ جَحشٍ"

[16] ولكنّ أتباعَهُ لم يُدرِكوا، حينذاكَ، مَغزى ما فَعَلَهُ، وإنّما أدرَكوهُ بَعدَ أن بُوِّئَ عيسى (سلامُهُ علينا) المَقامَ الرَّفيعَ عِندَ اللهِ، فأدرَكوا أنّ ما كانَ يَقومُ

---

(٢) كانت أموال هذا الصندوق تجمع من التبرعات التي تصرف على ذوي الحاجة من حواريه (سلامُهُ علينا).

بِهِ (سلامُهُ علينا) كانَ تَصديقًا وتَحقيقًا لِما في كِتابِ اللهِ مِن نُبوّاتٍ. [17] ولقد أخَذَ مَن شَهِدوا مِنَ النّاسِ بَعثَ لعازَرَ مِنَ المَوت، يُخبِرونَ بما شاهدوا. [18] فخَرَجَت الجُموعُ لاستِقبالِهِ، بَعدَ سَماعِهِم بخَبَرِ هذِهِ المُعجِزةِ العَظيمةِ. [19] فدَمدَمَ حينئذٍ المُتَشَدِّدونَ فيما بَينَهُم: "ها قد فَشِلنا ونُبِذنا نِهائيًا، إنّ العالَمَ كُلَّهُ سائرٌ على آثارِهِ".

عيسى (سلامُهُ علينا) يتنبّأ بموته

[20] وكانَ هُناكَ مِن بَين مَن جاؤوا إلى القُدسِ بغايةِ العِبادةِ في فَترةِ عِيدِ الفِصحِ بَعضُ الأجانبِ،(٣) [21] فأتَوا إلى الحَواريّ فيليبَ، وهو مِن قَريةِ بَيتِ صَيدا في الجَليلِ، وقالوا لهُ: "يا سَيِّدُ، نُريدُ أن نَرى عيسى". [22] فأخبَرَ فيليبُ أندراوسَ بذلِكَ، وذَهَبا مَعًا لإخبارِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) فأجابَهُم: [23] "حانَ الوَقتُ الّذي فيهِ يُرفَعُ شأنُ سَيِّدِ البَشَرِ. [24] والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: إن لم تَقَع حَبَّةُ القَمحِ في الأرضِ وتَمُت، فستَبقَى حَبَّةً واحدةً، ولكنّها إن وَقَعَت في حُضنِ التُّربةِ ودُفِنَت فيها، أنتَجَت مَزيدًا مِن حُبُوبِها. [25] لذلِكَ فمَن يَحرِصُ على حَياتِهِ في الدُّنيا فهو مِنَ الخاسِرينَ، ومَن يُضَحّي بها مِن أجلي فسيَفوزُ بحَياةِ الخُلودِ. [26] مَن أرادَ مِنكم أن يَخدِمَني فليَتبَعَني، وحَيثُ أكونُ أنا، يَكونُ هُناكَ مُريدي أيضًا، ومَنِ اتّخَذَني سَيِّدًا، فهو مُكَرَّمٌ عِندَ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ".

[27] وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) كَلامَهُ قائلاً: إنّي لمُضطَرِبُ النَّفسِ. فهل أطلُبُ مِن اللهِ الأبِ الرَّحمنِ إنقاذي مِن تِلكَ المِحنةِ الّتي ستَحُلُّ بي؟! لا، لأنّني إنّما جِئتُ لأُقاسي هذِهِ الآلامَ! [28] يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ، تَمَجَّدَ اسمُكَ في عُلاكَ!" فجاءَهُ صَوتٌ مِنَ السَّماءِ يُدَوّي: "قد مَجَّدتُهُ فيما مَضى، وسأمَجِّدُهُ فيما سيأتي". [29] وسَمِعَ ذلِكَ الصَّوتَ مَن كانَ حاضِرًا مِنَ الجُموعِ

---

(٣) كان هؤلاء المتحدّثون من الغرباء الذين يتكلّمون اللغة اليونانية، وكان البعض منهم يميل إلى الاعتقاد بالدين اليهودي، بينما كان البعض الآخر يميل فقط إلى مجرّد الإيمان بالله الواحد. وربّما كان قد بلغهم خبر تقبّل المسيح (سلامُهُ علينا) لجميع الناس دون استثناء، حتّى لو لم يكونوا يدينون بالدين اليهودي. وربّما توجّهوا للقاء فيليب بسبب معرفته اللغة اليونانية أو لأنّه كان على علاقة بغير اليهود في موطنه الأصلي.

فلم يُميِّزوهُ. وظَنُّوا قائلينَ: "هذا دَوِيٌّ رَعدٍ". وقالَ آخَرونَ: "بل هو مَلاكٌ تَحَدَّثَ إليهِ". [30] فقالَ (سلامُهُ علينا): "قد جاءَ هذا الصَّوتُ مِن أجلِكُم أنتُم، لا مِن أجلي. [31] الآن سيَصدُرُ الحُكمُ في حقِّ أهلِ هذِهِ الدُّنيا، والآنَ سيَغلِبُ أمرُ اللهِ أمرَ الشَّيطانِ الَّذي يَسُودُ في هذِهِ الدُّنيا.(٤) [32] وعِندَما أُرفعُ على الخَشَبةِ، فسأجذِبُ إليَّ النّاسَ أجمَعينَ". [33] وبكَلِماتِهِ هذِهِ كانَ (سلامُهُ علينا) يُشيرُ إلى الطّريقةِ الّتي سيَموتُ بها.

[34] وقالَ بَعضُ الحاضِرينَ: "قد سَمِعنا مِمّا جاءَ في كِتابِ الله أنّ المَسيحَ باقٍ إلى الأبَدِ، فكَيفَ تَقولُ: "لا بُدَّ أن يُرفَعَ سَيِّدُ البَشَرِ على خَشَبةٍ ويَموتُ"؟ فمَن ذا الّذي تُسمّيهِ سَيِّدَ البَشَر؟" [35] فأجابَهُم (سلامُهُ علينا) بقَولِهِ: "النّورُ فيكُم أمَدُهُ قَصيرٌ، فسِيروا في هذا النّورِ الّذي يُضيءُ لكُم، وإلاّ سادَتْكُم الظُّلُماتُ بَعدَهُ، ومَن يَمشي فيها لا يَدرِي أينَ يُؤدِّي بِهِ الدَّربُ. [36] آمِنوا بالنُّورِ ما دامَ بَينَكُم حتّى تُصبِحوا مِن أهلِهِ". ثُمَّ قامَ عيسى (سلامُهُ علينا) بَعدَ ذلِكَ، ومَضى ليَبتعِدَ عن الأنظارِ.

رفض اليهود لرسالة عيسى (سلامُهُ علينا)

[37] جَرَت مُعجِزاتٌ كَثيرةٌ على يَدَي سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) وعلى مَرأى مِن النّاسِ، إلاّ أنّ مُعظَمَهُم لم يؤمن بِهِ. [38] فتَمَّ بذلكَ الكلامُ الّذي جاءَ على لِسانِ النّبيِّ أشعيا: "يا مَولايِ، ما أقلَّ مَن آمَنَ برِسالتِنا! أينَ أولئكَ الّذينَ تَقَبَّلوا تَجَلّيّاتِ قوَّةِ اللهِ؟" [39] حَقًّا ما كانوا للإيمانِ مُيَسَّرينَ. وقالَ أيضًا: [40] "خَتَمَ اللهُ على قُلوبِهِم، وألقَى على عُيونِهِم غَشاوةً، حتّى لا يُدرِكوا رِسالتَهُ ويَفهموها فيَرجِعوا إليهِ ليَشفيَهُم". [41] وقد ذَكَرَ أشعيا (عليه السّلام) ذلِكَ لأنّهُ أُعطي رؤيا شَهِدَ فيها عَظَمَةَ المَسيحِ (سلامُهُ علينا) فأخبَرَ عَنهُ.

[42] غَيرَ أنّ عَدَدًا مِنَ النّاسِ، ومِن قادةِ اليَهودِ أنفُسِهِم، قد آمَنوا بِهِ، إلاّ أنّهُم أخفَوا إيمانَهُم خَوفًا مِن المُتَشَدِّدينَ حتَّى لا يُطرِدوهُم مِن بُيوتِ العِبادةِ،

---

(٤) يشير سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) هنا إلى إبليس الشيطان الأكبر، الذي يسيطر على البشر كمغتصب متسلط. وقد كانت قوة الشيطان على وشك الانهزام عند موت سيدنا عيسى وبعثه حيا وصعوده إلى السماء.

43 ساعينَ بذلِكَ إلى كَسبِ رِضى النّاسِ غَيرَ آبهينَ لمَرضاةِ اللهِ.
44 وأخَذَ عيسى (سلامُهُ علينا) يَتَحَدَّثُ بصَوتٍ مُرتفِعٍ قائلاً: "مَن آمَنَ بي، فقد آمَنَ أيضًا باللهِ الَّذي أرسَلَني. 45 ومَن رآني فقد رأى تَجَلّياتِ مَن أرسَلَني. 46 لقد جِئتُ نورًا يُضيءُ هذا العالَمَ المُعتِمَ، ولن يَبقَى المُؤمنُ بي سائرًا في طَريقِ الشَّيطانِ المُظلِمِ. 47 ومَن يَستَمِعْ إلى رِسالتي دونَ تَطبيقِ ما جاءَ فيها، فأمْرُهُ إلى اللهِ ولَيسَ لي أن أحكُمَ عليهِ. أمّا أنا فقد جِئتُ لإنقاذِ البَشَرِ، لا لإدانتِهِم. 48 ومَن رَفَضَني ورَفَضَ رِسالتي، فلهُ مَن يَحكُمُ عليهِ، لأنّ رِسالتي ستُدينُهُ في اليَومِ الآخِرِ. 49 فأنا ما أتَيتُ بشَيءٍ مِن عِندي إنّما اللهُ الأبُ الرَّحمنُ هو الّذي أرسَلَني وأوصاني بما أقولُ. 50 ومَن يَعمَلْ بوصايا اللهِ فسيَهَبُهُ الخُلودَ، لذلِكَ فما أقولُهُ لكُم، هو ما أوصاني بِهِ اللهُ الأبُ الرَّحمن".

13

الفصل الثّالث عشر

عيسى (سلامُهُ علينا) يقوم بغسل أقدام أتباعه

1-2 قُبيلَ عِيدِ الفِصح، كانَ سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) يَتناولُ العَشاءَ مَعَ الحَواريّينَ. وكانَ يُدرِكُ أنَّ مَوعِدَ رَحيلِهِ عن هذا العالَمِ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ قد أزِفَ. وإنّ حُبَّهُ لأتباعِهِ الّذينَ سيُخَلِّفُهُم وَراءَهُ في هذِهِ الدُّنيا لكَبيرٌ. وكانَ الشَّيطانُ قد دَسَّ الفِتنةَ في قَلبِ يَهوذا ابنِ سَمعانَ الإسخَريوطيّ وعَقلِهِ، تِلكَ الفِتنةَ الّتي انتَهَت بِهِ لخيانةِ سَيّدِهِ. 3 ولقد كانَ سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) على عِلمٍ بأنّ اللهَ الأبَ الرَّحمنَ قد خَصَّهُ بسُلطَةٍ جَعَلَت كُلَّ شَيءٍ تَحتَ يَدَيهِ، وأنّهُ إنّما مِن عِندِهِ جاءَ وإليهِ يَعودُ. 4 فقامَ (سلامُهُ علينا) على الفَورِ عَنِ العَشاءِ، وخَلَعَ عَنهُ عَباءتَهُ، وأخَذَ مِنشفَةً وأحاطَ بِها وَسَطَهُ 5 وقامَ بصَبِّ الماءِ في وِعاءٍ، ليَغسِلَ أقدامَ حَواريّيهِ ويُجَفِّفَها. 6 وعِندَما وَصَلَ (سلامُهُ علينا) إلى بُطرُسَ الصَّخرِ ليَغسِلَ لهُ قدَمَيهِ، قامَ بُطرُسُ عنهُ مُعتَرِضًا قائلاً: "مَولاي، كَيفَ تَقومُ أنتَ بغَسلِ قَدَميّ؟!" 7 فأجابَهُ (سلامُهُ

علينا): "أنتَ الآنَ لا تُدرِكُ لِماذا أقومُ بهذا العَمَلِ، ولكنّكَ عَمّا قَريبٍ ستُدرِكُ ذلِكَ". [8] فأجابَهُ صَخرٌ:"لن أدعَكَ تَغسِلُ قَدَمَيّ أَبَدًا!" فأجابَهُ سَيِّدُنا عيسَى: "إن لم أغسِلْ لكَ قَدَمَيكَ، فلن يَكونَ لكَ مَعي نَصيبٌ". [9] فقالَ صَخرٌ: "يا مَولاي، إن كانَ الأمرُ كذلِكَ، فاغسِلْ لي قَدَمَيّ ويَدَيّ ورأسي أيضًا!"(٥) [10] فقالَ لهُ (سلامُهُ علينا): "مَنِ اغتَسَلَ أصبَحَ طاهرًا كُلَّهُ، ولَيسَ بِهِ حاجةٌ بَعدُ إلاّ إلى غَسلِ قدَمَيهِ.(٦) وإنّكُم لطاهِرونَ أنقياءُ، ولكن فيكُم مَن لَيسَ طاهِرًا". [11] فقد كانَ يَعرِفُ مَن سيَخونُهُ لذلِكَ قالَ: "فيكُم مَن لَيسَ طاهِرًا". [12] وعِندَما انتَهى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) مِن غَسلِ أقدامِ أتباعِهِ، وَضَعَ عنهُ عَباءتَهُ وجَلَسَ وقالَ: "هل أدرَكتُم ما فَعَلتُ بكُم؟! [13] إنَّكُم لَتَدعونَني بالمُعَلِّمِ السَّيِّدِ، وإنَّكُم لعَلى حقٍّ في هذا، لأنَّني سَيِّدُكم ومَولاكُم ومُعَلِّمُكم. [14] ولئن كُنتُ، وأنا السّيِّدُ المُعَلِّمُ، قد غَسَلتُ أرجُلَكُم، فعليكُم أنتُم أيضًا أن تَقوموا بذلِكَ فيما بَينَكم، [15] وإنّما فَعَلتُ ما فَعَلتُ لأكونَ لكُم قُدوةً تَقتَدونَ بها فتَقومونَ بخِدمةِ بَعضِكُم بَعضٍ. [16] والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: لا عَبدَ أعظَمُ مِن سَيِّدِهِ، ولا رَسولَ أعظَمُ مِن مُرسِلِهِ. [17] فإن أدرَكتُم تِلكَ الحَقيقةَ وعَمِلتُم بها، فهَنيئًا لكُم".

عيسى (سلامُهُ علينا) يتنبأ بخيانة يَهوذا له

[18] وتابَعَ عيسى (سلامُهُ علينا) قائلاً: "إنّ كَلامي عَن الخِيانةِ لا يَشمَلُكُم جَميعًا، فأنا أدرَى بمَن اختَرتُهُم، ولكن لا بُدَّ مِن تَحقيقِ ما جاءَ في الزّبُور:

---

(٥) درج بنو يعقوب في ذلك الزمن على تكريم الضيف بغسل قدميه عند وصوله إلى بيت مضيّفه، وكانت تلك مهمّة يقوم بها عبد غير يهودي. لكن إذا لم يكن هناك عبد أجنبي، فقد كان على نساء ذلك البيت أو الأطفال أن يقوموا بذلك. ولم يكن في الغالب يُطلب من الرجل اليهودي أن يقوم بهذا العمل الحقير. ومن المرجّح أنّه لم يكن يحضر هذا العشاء سوى الحواريين، فكان لا بدّ أن يقوم واحد منهم بذلك العمل. وربّما كان هنا بُطرس جالسا في المقعد الأدنى، فكان من واجبه أن يغسل أقدامهم، لكنّه رفض. وعندما قام السيد المسيح ليغسل أرجلهم شعر بطرس بذنب كبير لإخلال واجبه.

(٦) كان شائعًا لدى اليهود غسل القدمين عند دخول الشخص إلى البيت، ولكنّ هذا لم يكن يمنح الشخص الطهارة إذ عليه الاغتسال. وكانت هذه الطهارة تنتفي إذا تعرّض الشخص إلى إحدى النجاسات الكبرى أو إلى الجنابة.

"الّذي أكَلَ مِن خُبزي خانَ عَهدي". [19] وها أنا أُخبِرُكُم بذلِكَ الأمرِ قَبلَ وُقُوعِهِ، فعِندَما يَقَعُ تَعلَمونَ أنّي المَسيحُ المُنتَظَرُ حقًّا. [20] والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، مَن قَبِلَ رَسولي فقد قَبِلَني، ومَن قَبِلَني فقد قَبِلَ اللهَ الّذي أرسَلَني". [21] ثُمَّ أصابَهُ (سلامُهُ علينا) اضطِرابٌ شَديدٌ وقالَ: "وأقولُ لكُم الحقَّ الحقَّ: أحَدُكُم سيَخونُني".

[22] فأخَذَ الحَواريُّونَ يَنظُرونَ بَعضُهُم إلى بَعضٍ بِحَيرةٍ ويَتَساءلونَ عَمَّن يَجرُؤُ على القيامِ بخيانتِهِ. [23] وكانَ أحَدُ الحَواريّينَ الّذي كانَ مُقَرّبًا إلى قَلبِهِ (سلامُهُ علينا) جالِسًا إلى جِوارِهِ، [24] فأومأ بُطرُسُ الصَّخر إلى ذاكَ الحَواريّ ليَسأَلَهُ مَن المَقصودِ بكَلامِهِ. [25] فمالَ الحَواريُّ على صَدرِ عيسى (سلامُهُ علينا) قائلاً: "مَن يَكونُ يا مَولاي؟"(٧) [26] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "إنّهُ الّذي يَنالُ مِنّي هذِهِ اللُّقمةَ بَعدَ أن أُغَمِّسَها". وغَمَّسَ اللُّقمةَ ورَفَعَها وناولَها يَهوذا بن سَمعان الإسخَريوطيّ. [27] فلمّا أخَذَها يَهوذا مِنهُ اندَسَّ فيهِ الشَّيطانُ. فقالَ لهُ (سلامُهُ علينا): "نَفِّذْ ما أنتَ عازمٌ على عَمَلِهِ سَريعًا!" [28] ولم يُدرِك الحَواريُّونَ الحاضِرونَ على العَشاءِ ما قَصَدَهُ (سلامُهُ علينا) بأمرِهِ هذا، [29] لأنّهُم ظَنُّوا أنّهُ طَلَبَ مِن يَهوذا شِراءَ لَوازِمِ العِيدِ لَهُم، أو القيامَ بالتَّصَدُّقِ على الفُقراءِ، لأنّ صُندوقَ المالِ كانَ في أمانتِهِ. [30] فأخَذَ يَهوذا اللُّقمةَ وخَرَجَ سَريعًا إلى حَيثُ الظّلامُ.

عيسى (سلامُهُ علينا) ونبوءته بإنكار بطرس له

[31-32] وبَعدَ مُغادَرةِ يَهوذا، التَفَتَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى حَواريّيهِ قائلاً: "حانَ الوَقتُ ليَتَعَظَّمَ شأنُ سَيِّدِ البَشَر، وما سيَحدُثُ لهُ سيُمَجِّدُ اللهَ، وهو تَعالى سيَرفَعُ شأنَ سَيِّدِ البَشَرِ عمّا قَريب. [33] يا أبنائي، ما أقصَرَ الوَقتَ الّذي أقضيهِ بَينَكُم قَبلَ أن أُفارقَكم! ها أنا أُرَدِّدُ على مَسامعِكُم ما كُنتُ قد ذَكَرتُهُ لقادةِ الشَّعبِ: "ستَفقِدونَني ثُمّ تَبحَثونَ عنّي، ولن تَتَمَكّنوا مِن الوصولِ إلى

---

(٧) كان من المعتاد عند الجلوس إلى المائدة في المآدب أن يجلس الناس إزاء بعضهم بعضا في وضع اتّكاء، فكان من اليسير أن يميل الحواري الحبيب على صدر سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) هامسًا إليه بالشخص الذي يقصده.

المَكـانِ الّـذي سـأُغادِرُ إليـهِ. [34] فـاحفَظوا وَصـيّتي الجَديـدة: أحِبُـوا بَعضَـكُم بَعضًـا. أحِبُّـوا بَعضَكُم بَعضًـا كَمـا أحبَبـتُكُم أنـا. [35] فـإن فَعَلـتُم ذلِـكَ، عَـرَفَ الجَميعُ أنّكُم أتباعِي".

[36] وانبَرى صَخرٌ قائلاً: "وإلى أينَ أنتَ راحِلٌ يا مَولاي؟!" فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "لَستَ قادرًا الآنَ أن تَذهَبَ على إثري إلـى حَيثُ أنـا راحِلٌ، ولكنَّكَ ستَلحَقُني فيما بَعدَ". [37] فقالَ لهُ صَخرٌ: "ولِماذا يا مَولاي لا يُمكِنُني أن أذهَبَ في إثرِكَ الآن؟ إنّني على استِعدادٍ للتَّضحيةِ بحَياتي فـي سَبيلِكَ!" [38] فأجابَـهُ (سلامُهُ علينا): "أأنتَ مَن يَقولُ إنّكَ ستُضحّي بحَياتِكَ في سَبيلي؟! إنّما الحقَّ الحـقَّ أقـولُ لـكَ، أنـتَ مَـن سيُنكِرُني ثلاثًـا، غَـدًا، عِنـدَ الفَجـرِ، وقَبـلَ صـياحِ الدِّيكِ".

14

الفصل الرّابع عشر

عيسى (سلامُهُ علينا) هو الطّريق إلى الله

[1] وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) حَديثَهُ لحَواريّيهِ: "لا تَضطَرِبَنَّ قُلوبُكُم، أنتُم تُؤمِنونَ باللهِ، فآمِنوا بي أنا أيضًـا. [2] إنَّ فـي الدّارِ الأبديّـةِ للهِ أبـي الصَّـمَدِ دُورًا كَثيـرةً، ولـو كانَـت جِنـانُ اللهِ ضيِّقةً لأخبَـرتُكُم، هـا أنـا أذهَـبُ لأعِـدَّ لكُـم مَكانًـا هُنـاكَ. [3] وبَعـدَ ذلِـكَ، سـأرجِعُ إليكُم لأصـطَحِبَكُم إلـى حَيـثُ نُقيمُ مَعًـا، [4] وإنّكُم تَعلَمونَ السَّبيلَ إلـى حَيثُ أنـا ذاهِبٌ". [5] فالتَفَتَ إليـهِ الحَـوارِيُّ تُومـا قائلاً: "يا سَيِّدَنا، نَحنُ نَجهَلُ المَكـانَ الّـذي تَتَوَجَّـهُ إليـهِ، فكَيفَ بِنـا أن نَعرِفَ طَريقَهُ؟" [6] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "أنا هو الطَّريقُ، وأنـا الحَقُّ، وأنـا الحيـاةُ، لا أحَـدَ يَسـتَطيعُ التَّقَـرُّبَ مِـن اللهِ الأبِ الـرَّحمنِ إلاّ مِـن خِلالـي. [7] فـإن عَرَفتُمـوني حقًّـا، عَـرَفتُم اللهَ أبـي الصَّـمَدَ أيضًـا، ومُنـذُ الآن، فـأنتُم تَعرِفُونَـهُ وتَـرَونَ مَجدَهُ". [8] فقـالَ لـهُ فيليـبُ: "يـا سَيِّدَنا، دَعْنـا نَحظـى برؤيـةِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، وهذا يَكفينا". [9] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "مَكَثتُ بَينَكُم كُلَّ هذِهِ المُدّةِ ولمّا تَعرِفْ حَقيقتي بَعدُ، يـا فيليـبُ؟! حقًّـا إنَّ مَـن رآنـي رأى تَجَلّـي اللهِ الأبِ

الرَّحمنِ في بَشَرٍ، فكَيفَ تَطلُبُ أن تَرى اللهَ؟! [10] ألا تؤمِنُ أنّي في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ واللهُ الأبُ الرَّحمنُ في ذاتي؟ لذلِكَ فكُلُّ ما أقُولُهُ مِن كَلامٍ هو مِن لدُنهِ ولَيسَ مِنّي، إنّهُ في ذاتي يَفعَلُ ما يُريدُهُ مِن خِلالِ أفعالي. [11] وأقولُ لكُم مَرّةً أُخرى: ثِقُوا أنّي في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ وهو في ذاتي، وإن لم تُصَدِّقوا، فصَدِّقوا تِلكَ المُعجِزاتِ الّتي قُمتُ بها. [12] والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، مَن آمَنَ بي يَقومُ بالأعمالِ الّتي قُمتُ بها، بل يَعمَلُ أعظَمَ مِنها فأنا ذاهِبٌ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ الّذي سيُرسِلُ لكُم مَدَدًا مِن لدُنهِ. [13] وإن أنتُم طَلَبتُم شَفاعتي عِندَ اللهِ، مَنَحتُكُم إيّاها، وبشَفاعةِ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ يُمَجَّدُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ. [14] أجل، إنّ كُلَّ مَن طَلَبَ شَفاعتي، وَهَبْتُهُ إيّاها.

الوعد بإرسال روح الله

[15] وأضافَ (سلامُهُ علينا) قائلاً: "إن كُنتُم أحبَبتُموني فاعمَلوا بوَصاياي، [16] وسيَجُودُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ عليكُم بمُعينٍ آخَرَ مِثلي أطلُبُهُ أنا مِنهُ يَبقى مَعَكُم إلى الأبَدِ. [17] ذلِكَ المُعينُ هو رُوحُ اللهِ الّتي تَهديكُم إلى الحقِّ. وأمّا أهلُ هذِهِ الدُّنيا فلا يَتَقبَّلونَها، وكَيفَ لهم ذلِكَ وهم يَجهَلونَ سِرَّها فيُنكِرونَها، وأمّا أنتُم فإنّكُم أدرى بها وهي بَينَكُم وستَبقى في قُلوبِكُم. [18] وما أنا بِتارِكِكُم كاليَتامى، ولكنّي عائدٌ إليكُم. [19] سأغيبُ بَعدَ فَترةٍ عن أهلِ الدُّنيا، أمّا أنتُم فستَكونونَ قادِرينَ على رُؤيتي لأنّي سأُبعَثُ فيكُم حَيًّا وسيَكونُ لكمُ الخُلودُ بقيامتي. [20] وستُدرِكونَ، يَومئذٍ، أنّي في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ وأنَّكُم في ذاتي وأنا في ذَواتِكُم. [21] إنّ مَن يَتَمَسَّكُ بوَصاياي ويَعمَلُ بها فهو الّذي يُحِبُّني، وهو الّذي يُحِبُّهُ اللهُ أبي الصَّمَدُ، وإذا أحَبَّهُ تَعالى أحبَبتُهُ وكَشَفتُ لهُ حَقيقتي".

[22] والتَفَتَ إليهِ يَهوذا -غَيرُ الإسخَريوطيّ- قائلاً: "يا سَيِّدَنا، لِماذا تُعلِنُ حَقيقتَكَ لنا دونَ أهلِ الدُّنيا أجمَعينَ؟"(٨) [23] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "إنّ مَن يُحِبُّني يَعمَلُ بتَعاليمي، فيُحِبُّهُ اللهُ أبي الصَّمَدُ، وسنَكونُ في قَلبِهِ. [24] أمّا مَن لا

---

(٨) كان من الصعب على هذا الحواري التصديق بذلك، لأنّه كان شائعًا بين اليهود أنّ المسيح المنتظر سيأتي بعظمة وجبروت مؤسّسًا المملكة الربّانية بعد انتصاره على الكفّار.

يَعمَلُ بتَعاليمي فهو لا يُحِبُّني، وإنّ رِسالتي لَيسَت مِن ذاتي، بل هي رِسالةُ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ الّذي أرسَلَني".

25 "يا أحبابي، ها أنا أُحَدِّثُكُم بكُلِّ هذِهِ الأُمورِ وأنا ما زِلتُ مَعَكُم مُقيمًا في هذِهِ الدُّنيا، 26 وعِندَما أُغادِرُكُم، يُرسِلُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ لكُم المُعينَ الّذي يُعَلِّمُكُم باسمي، وهذا المُعينُ هو رُوحُ اللهِ الّتي ستُعَلِّمُكُم كُلَّ شَيءٍ وتَهديكُم وتُذَكِّرُكُم بِكُلِّ ما قُلتُهُ لكُم. 27 سأترُكُكُم وقد وَهَبتُكُم: السَّلامَ والطُّمأنينَةَ، وما هي بالطُّمأنينَةِ المُزَيَّفةِ الّتي يَعرِفُها أهلُ الدُّنيا، بل إنّها الطُّمأنينةُ الّتي تَصدُرُ عنّي. فلا تَضطَرِبَنَّ أفئدتُكُم ولا تَرتَعِدْ. 28 وإنّي لمُذَكِّرُكُم: إنّي راحِلٌ عَنكُم وسأعُودُ إليكُم ثانيةً، فكونوا مَسرُورينَ بذلِكَ مِن أجلي إن كُنتُم تُحِبُّونَني حَقّا. إنّي عائدٌ إلى اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، وهو أعظَمُ مِنّي. 29 ولقد نَبَّأتُكُم بما سيَحدُثُ مِن أحداثٍ، حتَّى مَتى حَدَثَت، صارَ إيمانُكم بي أكثرَ رُسوخًا. 30 لن أطيلَ الكلامَ فيما بَقيَ لي مِن وَقتٍ بَينَكُم. إنّ الشَّيطانَ الّذي يَسودُ هذِهِ الدُّنيا قادِمٌ إليّ ليَقتُلَني، وما لهُ عليّ مِن سُلطانٍ، 31 ولكنّي سأُضحّي بحَياتي كَما أوصاني اللهُ أبي الصَّمَدُ، حتّى يَعرِفَ أهلُ الدُّنيا أنّي أُحِبُّهُ. لنَقُمِ الآنَ ونُغادِرْ هذا المَكانَ".

15

الفصل الخامس عشر

مَثَل الكرم والأغصان

1-2 وأثناءَ الطَّريقِ استَكمَلَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) حَديثَهُ قائلاً: "أنا الكَرمُ الحَقُّ، واللهُ أبي الصَّمَدُ هو صاحِبُهُ الّذي يَقطَعُ عَقيمَ الأغصانِ، ويُبقي المُثمِرَ مِنها فيُشَذِّبُهُ ويُنَقّيهِ حتّى يُثمِرَ أكثرَ وأفضَلَ. 3 أنتُم أنقياءُ ومُشَذَّبونَ بسبَبِ تَعاليمي الّتي أُخاطِبُكم بها. 4 فاثبُتوا فيَّ كَما أثبُتُ أنا فيكُم. ومِثلَما لا يُثمِرُ الغُصنُ إذا كانَ مُنفَصِلاً عن جِذعِ الشَّجَرةِ، فكذلِكَ أنتُم، لا تُثمِرونَ إن لم تَثبُتوا فيَّ. 5 فأنا الكَرمةُ وأنتُم أغصاني، ومَن ثَبَتَ فيَّ وأنا فيهِ أَثمَرَ خَيرًا كثيرًا. أمّا بمَعزلٍ عنّي فأنتُم عَقيمونَ. 6 وكُلُّ مَن يَنفَصِلُ عنّي يُرمى بِهِ

بَعيدًا كالعُودِ الجافِّ الّذي يَنتَظِرُ حَرقَهُ. [7] وإن ثَبَتُّم مُخلِصينَ لي وَثَبَتَ كَلامي فيكُم، فإنّ لكُم ما تَطلُبونَ مِنَ الله. [8] وإن داوَمتُم على الصّالحِ مِنَ الأعمالِ، أبَنتُم بذلِكَ أنّكُم أتباعي حَقًّا، وعَظَّمتُم شأنَ اللهِ أبي الصَّمَدِ".
[9] ثُمَّ أضافَ (سلامُهُ علينا) قائلاً: "أحبَبتُكُم كَما أحبَّني اللهُ الأبُ الرَّحمنُ، فاثبُتوا على مَحَبّتي ولا تَدَعوا أيّ حاجِزٍ يَفصِلُكُم عَنها. [10] أنا أُفيضُ عَليكُم مِن مَحَبَّتي، كَما يُفيضُ اللهُ أبي الصَّمَدُ عليَّ مِن مَحَبّتِهِ، وأنا أعمَلُ بوصاياهُ وأَستَمِرُّ في مَحَبَّتِهِ، فاعمَلوا أنتُم بوَصاياي لكي تَستَمِرُّوا في مَحَبّتي. [11] وما قَولي هذا إلاّ لتَفرَحوا مِثلي ويَفيضَ فَرَحُكُم. [12] هذِهِ هي وَصيَّتي لكُم، فتَمَسَّكوا بها واحفَظوها: أحِبُّوا بَعضُكُم بَعضًا كَما أحبَبتُكُم أنا، [13] ولَيسَ مِن مَحَبّةٍ يَهَبُها المُحِبُّ أعظَمَ مِن تَضحِيتِهِ بنَفسِهِ في سَبيلِ مَن يُحِبُّ. [14] إن كُنتُم عَمِلتُم بتَعاليمي فأنتُم أحبابي، [15] ولن أدعُوكم بَعدَ الآنَ عَبيدًا، لأنّ العَبدَ مُنفصِلٌ عن سَيِّدِهِ جاهلٌ بأعمالِهِ، ولكنّني أدعُوكُم أحبابي وقد كَشَفتُ لكُم كُلَّ ما أبانَهُ لي اللهُ أبي الصَّمَدُ مِن حَقائقَ. [16] ولا يَذهبَنَّ بكُم الظَّنُّ إلى أنَّكُم أنتُم اختَرتُموني بل أنا مَنِ اختارَكُم لتَكونوا مِمَّن يُثمِرُ أعمالاً يَدومُ تأثيرُها إلى الأبَدِ، فيَمنَحُكُم اللهُ الأبُ الرَّحمنُ بذلِكَ كُلَّ ما تسألُونَهُ باسمي. [17] تِلكَ هي وَصيَّتي أُكَرِّرُها عليكُم: أحِبُّوا بَعضُكم بَعضًا.

كراهية أهل الدّنيا لأتباع عيسى (سلامُهُ علينا)

[18] وتابَعَ (سلامُهُ علينا) حَديثَهُ مَعَ أتباعِهِ قائلاً: "لئن كَرِهَكُم أهلُ الدُّنيا، فاعلَمُوا أنّهُم قد كَرِهوني قَبلَكُم! [19] ولو كُنتُم مِن أهلِ الدُّنيا، لأحَبُّوكُم كَما أحبُّوا عَبيدَها، ولقد انتقَيتُكُم وفَصَلتُكُم عَنهُم فأنتُم لستُم مِثلَهم، لذلِكَ يُبغضونَكُم. [20] واذكُروا ما كُنتُ قد حَدَّثتُكُم بِهِ: "لَيسَ العَبدُ أعظَمَ مِن سَيِّدِهِ". فإنِ اضطَهَدَني أهلُ الدُّنيا، فسيَضطَهِدُونَكُم، وإن عَمِلوا برِسالتي، فسيَعمَلونَ بتَعاليمِكُم. [21] وما تَشريدُكُم وتَعذيبُكُم إلاّ لأنّكُم أتباعي، لأنّهُم يَجهَلونَ اللهَ الّذي أرسَلَني. [22] وما كانَ عليهِم مِن وِزرٍ لو لم أُبعثْ فيهِم، ولكن لا عُذرَ لهُم بَعدَ الآنَ وقد بُعِثتُ فيهِم وكَلّمتُهُم. [23] مَن يَكرَهُني يَكرَهِ اللهَ أبي الصَّمَدَ، [24] ولو لم أَعمَلْ بَينَهُم مُعجِزاتٍ لم يَعمَلهَا أَحَدٌ غَيري، لمَا كانَ عليهِم ذَنبٌ، ولكنّهُم أنكَروا المُعجِزاتِ الّتي رأوها ورَفَضوا أن يُؤمِنوا بي جُحُودًا

واستِكبارًا، فكَرِهُوني وكَرِهُوا اللهَ أبي الصَّمَدَ. [25] وكانَ ذلِكَ كُلُّهُ تَصديقًا لِما جاءَ في الزَّبُورِ: "كَرِهُوني بلا سَبَبٍ". [26] وعِندَما أُرسِلُ إليكُم المُعينَ، رُوحَ اللهِ الّتي تَخرُجُ مِن عِندِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، فتُذَكِّرُكم بي. [27] فاشهَدوا لي أمامَ النّاسِ وادعُوهُم إليّ، لأنّكُم كُنتُم رُفقائي مُنذُ البدايةِ".

16

الفصل السّادس عشر

مهمَّة روح الله

[1] "يا أحِبّائي، إنّما ذَكَرتُ لكُم كُلَّ هذا لتَصمُدوا على إيمانِكُم بي، [2] فستُطرَدونَ مِن بُيوتِ العِبادةِ، حينَ يأتي زَمَنٌ يَظُنُّ فيهِ مَن يَقتُلُكُم أنّهُ يَخدِمُ اللهَ، [3] ولأنّ هؤلاءِ لم يَعرفوا اللهَ الأبَ الرَّحمنَ ولا عَرَفوني. [4] وإنّي لأُنَبِّئُكُم بكُلِّ هذا حتّى عِندَما يَقَعُ، تَتَذَكَّرونَ أنّي أخبَرتُكُم بِهِ".

"ولَم أُحَدّثكُم بهذِهِ الأُمورِ مُنذُ البدايةِ لأنّي كُنتُ مَعَكُم. [5] أمّا الآنَ، فقد حانَ وَقتُ عَودَتي إلى الّذي أرسَلَني، فلا يَسأَلُني أحَدٌ مِنكُم عنِ المَكانِ الّذي سأذهَبُ إليهِ. [6] وإنّي أرى الحُزنَ قد مَلأ قُلوبَكُم بسَبَبِ مُغادرَتي. [7] الحَقَّ أقولُ لكُم: أن أُغادرَكُم خَيرٌ مِن أن أبقى مَعَكُم، لأنّي عِندَ مُغادرَتي أُرسِلُ إليكُم المُعينَ رُوحَ اللهِ [8] الّتي ستُبَيِّنُ لأهلِ الدُّنيا حَقيقَةَ ذَنبِهِم وبَراءَتي والحِسابَ: [9] فذَنبُهُم أنَّهم لم يُؤمِنوا بي، [10] وبَراءَتي تَتَجَلّى في عَودتي إلى اللهِ الأبِ الرَّحيمِ، عَودةً لن ترَوني بَعدَها، [11] وأمّا الحِسابُ فهو صُدورُ الحُكمِ على الشَّيطانِ الّذي يَسودُ الدُّنيا بغَيرِ حقٍّ.

[12] وعِندي أُمورٌ كَثيرةٌ أوَدُّ أن أُكَلِّمَكُم بها، ولكنَّكُم تَعجَزونَ عن تَحَمُّلِها الآن. [13] ولكن عِندَما تأتي رُوحُ اللهِ، فستُرشِدُكُم إلى الحَقِّ كُلِّهِ، لأنّ كُلَّ ما تَبُثُّهُ فيكم هو الحَقُّ، ولن تَتَكَلّمَ مِن تِلقاءِ نَفسِها، بل ستُطَلِعُكُم على ما بَلَغَها مِنّي فقط، وتُنبِئُكُم بما سَيَجري مِن أحداثٍ في المُستقبلِ. [14] وستَرفَعُ مِن شأنِي لأنّها تُذَكِّرُكُم بِكُلِّ ما قد أخبَرتُكُم بِهِ مِن أُمورٍ. [15] فكُلُّ مَا للهِ الأبِ الرَّحمنِ هو لي، لذلِكَ قُلتُ لكُم إنّ ما تَبُثُّهُ فيكُم رُوحُ اللهِ يأتيكُم مِن عِندي".

16 وأردَفَ (سلامُهُ علينا) مُخاطِبًا حَواريّيهِ قائلاً: "لن تَرَوني بَعدَ قَليلٍ لأنّني سأغيبُ عنكُم، ولكن ستَمُرُّ مِنَ الزَّمَنِ مُدّةٌ قَصيرةٌ لأظهَرَ لكُم بَعدَها فتَرَونَني مِن جَديدٍ". 17 فتَساءَلَ الحَواريُّونَ: "ماذا يَقصِدُ بقَولِهِ بَعدَ قليلٍ أَغيبُ عنكُم، ثُمَّ بَعدَ ذلِكَ بقَليلٍ تَرَونَني مِن جَديدٍ؟ وماذا يَقصِدُ بعَودتِهِ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ؟ 18 وأيُّ مَعنًى لقولِهِ إنّ هذا سيَحدُثُ بَعدَ قليلٍ؟ إنَّنا لم نَفهَم ما يَقصِدُهُ". 19 وأدرَكَ عيسى (سلامُهُ علينا) ما يُحيّرُ حَواريّيهِ فقالَ لهُم: "هل تَتَساءَلونَ عَن مَعنى قَولي: بَعدَ قليلٍ أغيبُ عنكُم، ثُمَّ بَعدَ ذلكَ بقَليلٍ تَرَونَني مِن جَديدٍ؟ 20 الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم: ستَغرَقونَ في بُكائِكُم، بَينَما يَمتلئُ أهلُ الدُّنيا سُرورًا. أجل، سيُصيبُكُمُ الحُزنُ، ولكنّهُ سيَستَحيلُ فَرَحًا، 21 فكَما تَتألّمُ المَرأةُ عِندَ مَخاضِها، فإنّها تَنسى ما ألَّمَ بها مِن أوجاعٍ عِندَما تَضَعُ وَليدَها، لِكَونِها أعطَتِ العالَمَ مَخلوقًا جَديدًا. 22 وكذلِكَ أنتُم سيُصيبُكم الحُزنُ عَمّا قَريبٍ، ولكن عِندَما أعودُ إليكُم فأراكُم وتَرَونَني، تَمتلِئُ قُلوبُكُم فَرَحًا، ولا أحَدَ يَستَطيعُ أن يَنزِعَ هذا الفَرَحَ مِن قُلوبِكُم. 23 وفي ذلِكَ اليومِ عِندَما أعودُ إليكُم، لا أحَدَ مِنكُم يَسألُني عن شَيءٍ. الحَقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: إنّ بوُسعِكُم اِنطلاقًا مِنَ ذلِكَ الوقتِ أن تَطلُبوا مِنَ اللهِ الأبِ الرَّحيمِ مُباشرَةً أيّ شَيءٍ فيُجيبَكُم لأنَّكُم أتباعي المُخلِصونَ. 24 وأنتُم لم تَطلُبوا شَيئًا باسمي مِن عِندِ اللهِ بَعدُ، وأعودُ لأقولَ: اطلُبوا باسمي تُعطَوا فيَزدادُ فَرَحُكُم".

25 ثُمَّ قالَ (سلامُهُ علينا): "لقَد حَدَّثتُكُم عَن اللهِ الأبِ الرَّحيمِ بأمثالٍ ورُموزٍ، وسيأتي اليَومُ الّذي أُحَدِّثكُم فيهِ عنهُ تَعالى بوُضوحٍ. 26 وعِندئذٍ ستَتَوسَّلونَ إليهِ باسمي. ولا حاجةَ مُنذُ الآنَ أن أبتَهِلَ إلى اللهِ الأبِ الرَّحمنِ نيابةً عنكُم، 27 لأنّهُ يُحِبُّكم إذ أحبَبتُموني، وآمَنتُم بأنّي جِئتُ مِن عِندِ اللهِ. 28 نعم، مِن لَدُنهِ بُعِثتُ، وجِئتُ إلى هذا العالَمِ، ثُمَّ سأرحَلُ عنهُ راجِعًا إلى اللهِ الأبِ الرَّحمنِ".

29 وهُنا التَفَتَ إليهِ حَواريّوهُ قائلينَ: "حَديثُكَ إلينا الآنَ حَديثٌ واضِحٌ دونَ رُموزٍ، 30 وإنّنا على يَقينٍ أنّكَ على عِلمٍ بكُلِّ شَيءٍ، والآنَ فلا حاجة لطَرحِ مَزيدٍ مِن الأسئلةِ، فقد آمَنّا بأنّكَ مِن عِندِ اللهِ". 31 فأجابَهُم (سلامُهُ علينا) قائلاً: "وهل آمَنتُم بي الآنَ حقًّا؟! 32 إذن، انتَبِهوا إلى ما سأقولُ: سيأتي زمَنٌ، بل إنّهُ قد حانَ، فيهِ تَتَفَرَّقونَ كُلٌّ في سَبيلِهِ وتَتَركوني وَحدي! إلاّ أنّني لن أكُونَ حينئذٍ وَحيدًا، لأنَّ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ مَعي. 33 وما أذكُرُ لكُم ذلِكَ إلاّ

لتَملأ الطُّمأنينَةُ قُلوبَكُم بتَمَسُّكِكُم بي. إنّكُم ستُقاسونَ الضّيقَ في هذا العالَمِ، فاصمُدوا وتَذَكَّروا واثِقينَ بأنّي أحرَزتُ الغَلَبةَ على العالَمِ".

17

الفصل السّابع عشر

عيسى (سلامُهُ علينا) شفيعًا لأتباعه

[1] وبَعدَ أن أتَمَّ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) حَديثَهُ هذا مَعَ أتباعِهِ، رَفَعَ نَظَرَهُ إلى السَّماءِ داعيًا مُبتَهِلاً: "اللهُمّ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ، ها قد آنَ الأوانُ، أوانُ تَمجيدِ الابنِ الرُّوحيّ! فارفَعْ شأنَهُ كي يُظهِرَ الابنُ الرُّوحيّ مَجدَك تَبارَكَ اسمُكَ وتَعالى، [2] لقد وَكَّلتَهُ على كُلِّ البَشَرِ حتّى يَهَبَ لكُلِّ مَن يُؤمِنُ بِهِ مَكانَةً في دارِ الخُلدِ. [3] وإنّ طَريقَ الخُلودِ لا يَكونُ إلاّ مِن خِلالِ مَعرِفةِ ذاتِكَ جَلَّ جَلالُكَ أنت اللهُ الواحدُ الحقُّ، ومَعرِفةِ عيسى المَسيحِ الّذي أرسَلتَهُ. [4] وها أنا قد أكمَلتُ العَمَلَ الّذي أوكَلتَهُ إليَّ، وبذلِكَ رَفَعتُ ذِكرَكَ على هذِهِ الأرضِ وبَينَ البَشَرِ، [5] فامنَحني الآنَ يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، تِلكَ الهَيبَةَ الّتي كانَت لي عِندَكَ قَبلَ خَلقِ العالَمينَ.

[6] ربِّي لقدِ اصطفَيتَ جَماعةً مِن أهلِ هذا العالَمِ ليَكونوا أتباعًا لي، وقد كانوا دائمًا في الحَقيقةِ مِن خاصَّتِكَ، وقد كَشَفتُ لهُم عن سِرِّ ذاتِكَ، وإنّهُم لَيَعمَلونَ بتَعاليمِكَ، [7] وقد أدرَكوا الآنَ أنّ كُلَّ ما كانَ لي هو مِن لدُنكَ. [8] لقد كانَت مُهمَّتي تَبليغَ رِسالتِكَ الّتي أوحيتَها إليّ فقَبِلَها أحبابي وقد عَلِموا أنّي مِن عِندِكَ مُرسَلٌ فآمَنوا بأنّكَ مَن بَعَثَني. [9] وإنّي أدعو لهُم، لا لأهلِ الدُّنيا. أجل، أدعو لأحبابي الّذينَ جَعَلتَهُم أتباعي وهُم أنصارُكَ، [10] فأنصاري إليكَ هُم أنصارُكَ، وأنصارُكَ هُم أنصاري، وهُم الّذينَ يَرفعونَ مِن شأني بَينَ النّاسِ، [11] وهُمُ الباقونَ في هذا العالَمِ الّذي سأرحَلُ عَنهُ عائدًا إليكَ، فيا اللهُ، أيُّها الأبُ القُدّوسُ احفَظْ هؤلاءِ مُخلِصينَ لكَ بالقوَّةِ الّتي أعطيتَها لي مِن عِندِكَ، اجعَلْهُم عائلةً واحدةً كَما أنا وأنتَ واحدٌ. [12] ولقد حَمَيتُهُم حينَ كُنتُ بَينَهُم بسُلطانِكَ الّذي مَنَحتَني إيّاهُ. وما خَسِرتُ مِنهُم أحَدًا إلاّ مَن استَحَقّ

الهَلاكَ، وبذلِكَ يَصدُقُ ما جاءَ في الزَّبورِ. 13 وها أنا الآنَ عائدٌ إليكَ، وقد حَدَّثتُهُم بما حَدَّثتُهُم، عِندَما كُنتُ مَعَهُم في العالَمِ، حتّى يَفرَحوا مِثلي فَرَحًا عَظيمًا. 14 ولقد كَرِهَهُم أهلُ الدُّنيا عِندَما آمَنوا برسالتِكَ الّتي أوحيتَها إليّ، لأنّهُم مِثلي لا يَنتَمونَ إلى أهلِ الدُّنيا. 15 ولَستُ أسألُ أن تأخُذَهُم مِنَ العالَمِ ولكن أن تَحفَظَهُم مِنَ الشَّيطانِ الأثيمِ. 16 فهُم يا مَولاي مِثلي لَيسوا مِن أهلِ الدُّنيا، 17 فاجعَلْهُم مِن عِبادِكَ المَنذورينَ المُخلِصينَ بِالحَقِّ الَّذي هو جَوهرُ رِسالتِكَ. 18 وكَما بَعثَتَ بي إلى العالَمينَ، هكذا أبعَثُهُم إلى أنحاءِ الدُّنيا، 19 وقد وقَّفتُ نَفسي لكَ مِن أجلِهِم، وها هُم بدَورِهِم يُوقِفونَ أنفُسَهُم كُليًّا لكَ".

20 وأضافَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "يا رَبُّ، إنَّني لا أبتَهِلُ إليكَ مِن أجلِ أتباعي هؤلاء فَقَط، بل مِن أجلِ كُلِّ مَن يؤمِنُ بي بَعدَ أن بَلَّغتُهُم رِسالتَكَ مِن خِلالِهم. 21 وأبتَهِلُ إليكَ يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ أن يَكونَ كُلُّ المُؤمِنينَ مُوَحَّدينَ فيما بَينَهُم في قَلبٍ واحدٍ، كَما أنّكَ في ذاتي وأنا في ذاتِكَ، فليَكُن هؤلاءِ فينا، فيُؤمِنَ الجَميعُ بأنّكَ أنتَ مَن أرسَلتَني. 22 وأنّكَ أنتَ مَن أكرَمَهُم كَما أكرَمتَني، فيَتَوَحَّدونَ على قَلبٍ واحدٍ كَما أنتَ وأنا في ذاتٍ واحدةٍ، 23 أنا مَعَهُم وأنتَ مَعي لنَكونَ مُتَّحِدينَ اتّحادًا تامًّا. فيَكونُ ذلك بُرهانًا لأهلِ الدُّنيا على أنّني إنّما جِئتُ مِن عِندِكَ، وعلى أنَّكَ تُحِبُّهُم كَما أحبَبتَني.

24 اللهُمّ أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، لِيَكُن هؤلاءِ الّذينَ جَعَلتَهُم مِن خاصَّتي في حَضرَتِكَ مَعي، ليَرَوا المَكانةَ الرَّفيعةَ الّتي وَهَبتَها لي لأنّكَ أحبَبتَني قَبلَ خَلقِ العالَمينَ. 25 نعم يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ المُخلِصُ لوعودِهِ، إنّ أهلَ الدُّنيا لا يَعرِفونَ ذاتَكَ، أمّا أنا فعَرَفتُها، ولقد عَرَفَ أتباعي أنَّكَ أرسَلتَني، 26 فعَرَّفتُهُم جَلالَ ذاتِكَ العَليَّةِ، وسَيَفيضُ عليهِم، بَعدَ رَحيلي، عِلمي ونوري فتَمتَلِئُ قُلُوبُهُم بمَحَبّتِكَ بقَدرِ المَحَبّة الّتي خَصَصتَني بها، فأكونَ أنا أيضًا في قُلوبِهِم".

18

الفصل الثامن عشر

القبض على عيسى (سلامُهُ علينا)

[1] وغادَرَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بَعدَ ابتِهالِهِ صُحبَةَ حَوارِيِّيهِ ذلِكَ المَكانَ، ليَجتازوا مَعًا وادي قيدرونَ، ودَخَلوا فيهِ إلى بُستانٍ مِن شَجَرِ الزَّيتونِ. [2] وكانَ يَهوذا الّذي سيَغدِرُ بسَيِّدِنا عيسى يَعرِفُ ذلِكَ البُستانَ لأنّ عيسى (سلامُهُ علينا) اعتادَ أن يَجتَمِعَ فيهِ بأتباعِهِ. [3] فاصطَحَبَ يَهوذا إلى ذلِكَ المَكانِ جَماعةٌ مِن عَسكَرِ الرُّومان[٩] ومَجموعةٌ مِن حَرَسِ بَيتِ اللهِ الّذينَ أرسَلَهُم رؤساءُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ، وكانَ بِحَوزَةِ المَوكِبِ مَصابيحُ ومَشاعلُ وسِلاحٌ.

[4] وكانَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) يَعلَمُ بما سيَحُلُّ بِهِ، فخَرَجَ إليهِم قائلاً: "مَن هذا الّذي جِئتُم في طَلَبِهِ؟!" [5] فأجابوهُ قائلينَ: "إنّهُ عيسى النّاصِريّ". فقالَ لهُم: "أجل، أنا عيسى النّاصريّ". وكانَ يَهوذا الخائنُ واقِفًا مَعَ الجُنودِ والحَرَسِ. [6] وعِندَما أجابَهُم (سلامُهُ علينا) بأنّهُ هو، تَراجَعوا وسَقَطوا أرضًا! [7] فسألَهُم ثانيةً: "مَن جِئتُم وَراءَهُ؟!" فأصَرّوا على طَلَبِهِم قائلينَ: "عيسى النّاصريّ". [8] فقالَ لهُم: "أخبَرتُكُم أنّني أنا عيسى النّاصريّ، وأنا بَينَ أيديكُم فخَلُّوا سَبيلَ أصحابي". [9] وبهذا تَحَقَّقَ ما ذَكَرَهُ عِندَ ابتهالِهِ: "ما خَسِرتُ يا رَبُّ أحَدًا مِنَ الأتباعِ الَّذينَ وَهَبتَهُم لي". [10] وأثناءَ ذلِكَ، استَلَّ صَخرٌ سَيفًا كانَ مَعَهُ وقَطَعَ الأُذُنَ اليُمنى لأحَدِ عَبيدِ كَبيرِ الأحبارِ، وكانَ اسمُه مالِك.[١] [11] والتَفَتَ (سلامُهُ علينا) إلى صَخر قائلاً: "أعِدْ سَيفَكَ إلى

---

[٩] كان الجنود الرومان يرابطون في قلعة "أنطونيا" داخل القدس وذلك لضبط النظام في المدينة. ومن الممكن أن يكون كبار الأحبار والمتشدّدون قد أقنعوا هؤلاء الجنود بالقبض على سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) مدّعين لهم أنّه رجل متمرّد خطير.

[١] مالك المشار إليه هنا على الأرجح اسم عربي من مملكة الأنباط الواقعة في الأردن وجنوب سوريا اليوم. وقد عبّروا عن هذا الاسم في اللغة اليونانية بـ"ملخس".

غِمدِهِ، أفلا أشرَبُ كأسَ الآلامِ الّتي قَدَّرَها لي اللهُ الأبُ الرَّحيمُ!؟"
[12] وهكذا قامَ العَسكَرُ الرُّومانُ مَعَ ضابِطِهِم، ومَجموعةُ الحُرّاسِ بالقَبضِ على عيسى (سلامُهُ علينا) فقَيَّدُوهُ [13] وساقوهُ في البدايةِ إلى حَنّا حَمي قَيافا الّذي كانَ كَبيرَ الأحبارِ في تِلكَ الفَترةِ.(٢) [14] وقَيافا هو الّذي نَصَحَ زُملاءَهُ مِن قادةِ اليَهودِ قائلاً: خَيرٌ أن يَموتَ رَجُلٌ واحدٌ فِداءً للأُمّةِ مِن أن تَهلِكَ الأُمَّةُ بأكملِها.

بطرس وإنكار علاقته بالمسيح (سلامُهُ علينا)

[15] ومَضى في إثرِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) بُطرُسُ الصَّخر وحَواريٌّ آخرُ كانَت لهُ صِلةٌ بكَبيرِ الأحبارِ، فدَخَلَ الحَواريُّ الثّاني مَعَ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى باحةِ قَصرِ كَبيرِ الأحبارِ، [16] وظَلَّ بُطرُسُ بِدَورِهِ واقفًا عِندَ البابِ. وتَوَسَّطَ ذاكَ الحَواريُّ لَدى فَتاةٍ كانَت تَحرسُ البوّابةَ ليَدخُلَ بُطرُسُ. [17] فسألَتهُ: "هل أنتَ أيضًا مِن أتباعِ هذا الرَّجُلِ؟" فأنكَرَ بُطرُسُ ذلِكَ بقولِهِ: "كَلاّ، لَستُ مِن أتباعِهِ". [18] ولمّا كانَ البَردُ شَديدًا، أوقدَ العَبيدُ والحُرّاسُ النّارَ والتَفُّوا حَولَها يَتَدفَّؤُونَ، واقتَرَبَ مِنهُم بُطرُسُ يَتَدَفأ.

كبير الأحبار يقوم باستجوابه (سلامُهُ علينا)

[19] وتَوَجَّهَ كَبيرُ الأحبارِ إلى سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) يَستَجوِبُهُ عَن أتباعِهِ والتَّعاليمِ الّتي يُنادي بها، [20] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "إنّما بَشَّرتُ بتَعاليمي جَهرًا، على رُؤوسِ الأشهادِ في بُيوتِ العِبادَةِ والحَرَمِ الشَّريفِ حَيثُ يَجتَمِعُ كُلُّ اليَهودِ. [21] فلِمَ تَسألُني أنا؟ اسألْ هؤلاء الّذينَ سَمِعوا ما ذَكَرتُ، إنّهُم يَعلَمونَ كُلَّ ذلِكَ". [22] فلَطَمَهُ أحَدُ الحُرّاسِ على خَدِّهِ قائلاً:

---

(٢) كان حنا كبير الأحبار من سنة 6 للميلاد إلى أن أقاله الرُّومان سنة 15 للميلاد. وينصّ القانون اليهُودي أن يكون كبير الأحبار حاكمًا مدى عمره. لذا اعتبر اليهودُ قرارَ الرُّومان بإقالة حنّا غيرَ نافذ فظلّ الشعب يحترمه. وكان حنّا ثريًّا يتمتّع بنفوذ كبير، لأنّ منصب كبير الأحبار هو أعلى المناصب الدينية إلى حين مجيء الاحتلال الروماني. ومن المفترض أن يكون حكم الإعدام قد صدر عن مجموع من القضاة، إذ لا يملك القاضي وحده صلاحية إصدار مثل هذا الحكم. لكنّ ذلك لم يمنع حنّا مِن ممارسة سلطته في استجواب سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) الذي حُكم عليه بالإعدام فيما بعد.

"أهكذا تُخاطِبُ كَبيرَ الأحبارِ؟!" [23] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "إن كُنتُ قد أخطأتُ في جَوابي فأَثبِتْ ذلِكَ بِشُهودٍ، وإن نَطَقتُ صَوابًا، فلِمَ تَلطِمُني؟!" [24] وأرسَلَ حَنّا عيسى (سلامُهُ علينا) مُقَيَّدًا إلى قَيافا كَبيرِ الأحبارِ.(٣)

بطرس وإنكاره لعيسى (سلامُهُ علينا) ثلاثَ مرّات

[25] وفي ذلِكَ الحِين، كانَ بُطرُسُ يَتَدفَّأ مَعَ الحُرّاسِ، فسألوهُ: "هل أنتَ أيضًا مِن أتباعِهِ؟!" فأجابَهُم بُطرُسُ مُنكِرًا: "كَلاّ، لَستُ مِنهُم". [26] فالتَفَتَ إليهِ أَحَدُهُم وقد كانَ عَبدًا عِندَ كَبيرِ الأحبارِ، وهو مِن أقارِبِ مَن قَطَعَ بُطرُسُ لهُ أُذُنَهُ، وقالَ لهُ: "أما شاهَدتُكَ برِفقةِ عيسى في ذلِكَ البُستانِ؟!" [27] فأنكَرَ بُطرُسُ ذلِكَ مَرّةً ثالثةً، وقد تَزامَنَ ذلِكَ الإنكارُ مَعَ صِياحِ الدِّيكِ.

عيسى (سلامُهُ علينا) يَمثُلُ أمام الحاكم الرُّومانيّ

[28] وأُقتيدَ (سلامُهُ علينا) بَعدَ انتهاءِ مُحاكمتِهِ فَجرًا مِن عِندِ كَبيرِ الأحبارِ قَيافا إلى قَصرِ الحاكِمِ الرُّومانيّ، وامتَنَعَ اليَهودُ عَن دُخولِ القَصرِ حتّى لا تُصيبَهُم النَّجاسةُ فيُحرَموا مِن تَناوُلِ عَشاءِ عِيدِ الفِصحِ.(٤) [29] لذا خَرَجَ الحاكِمُ بيلاطُس إليهِم ليَسألَهُم قائلاً: "ماهي التُّهمةُ الّتي تُوجِّهونَها إلى هذا الرَّجُلِ؟" فأجابوهُ: [30] "لو لم يَكُن مُجرِمًا لَمَا سَلَّمناكَ إيّاهُ". [31] إلاّ أنّ بيلاطُس قالَ لهُم: "خُذوهُ وحاكِموهُ حَسَبَ شَريعتِكُم". فانبَرَوا قائلينَ: "كَيفَ وقد سَلَبَ الرُّومانُ مِنّا صَلاحيَّةَ الحُكمِ بالإعدامِ؟" [32] فتَحَقَّقَت بذلِكَ نبُوءةُ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) حَولَ طَرِيقةِ مَوتِهِ.(٥)

[33] وعادَ بيلاطسُ إلى القَصرِ، واستَدعى عيسى (سلامُهُ علينا) ليَسألَهُ: "هل

---

(٣) حنا هو كبير الأحبار الذي سبقت الإشارة إليه. وهو الذي استجوب سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) ثم أرسله إلى قيافا كبير الأحبار الذي يعترف به الرومان.

(٤) كان اليهود يعتقدون أنّ من دخل بيت أجنبي غير يهودي تصيبه النجاسة.

(٥) لم يكن يُسمح لغير الرومان بتنفيذ الحكم بالإعدام، لذا تحقّقت نبوءة سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) في أنّه سيموت صلبًا تبعًا لطريقة الرومان في تنفيذهم حكم الإعدام، أمّا طريقة اليهود في تنفيذ الإعدام، فكانت الرجم.

أنتَ مَلِكُ اليَهود؟!"[٦] 34 فأجابَهُ: "أهذا سُؤالٌ خَطَرَ بِبالِكَ فألقَيتَهُ عليَّ، أم هو مِمّا بَلَغَكَ عنّي مِنَ الآخَرينَ؟!"[٧] 35 إلاّ أنّ بيلاطُسَ أجابَهُ: "وهل أنا يَهوديٌّ حتّى يَهُمَّني كُلُّ ذلِكَ؟ فقد سَلَّمَكَ إليَّ شَعبُكَ ورُؤساءُ الأحبارِ! فما الّذي ارتَكبتَهُ؟!" 36 فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "لَستُ مَلِكًا دُنيويًّا، ولو كانَ كذلِكَ لدَافعَت حاشيَتي نَفسُها عنّي فلا يَقبِضُ اليَهودُ عليّ. ولكنّ مَملكَتي لَيسَت مِن هذا العالَمِ". 37 فقالَ لهُ بيلاطُسُ: "أنتَ مَلِكٌ إذَن!" فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "نَطقتَ صَوابًا، أنا مَلِكٌ، وقد وُلدتُ وبُعِثتُ إلى هذا العالَمِ لأشهَدَ للحَقّ، فكُلُّ مَن يُحِبُّ الحَقَّ يُطِيعُ تَعاليمي". 38 فسألَهُ بيلاطسُ: "وما هو الحَقُّ؟" ثُمّ خَرَجَ إلى الحُشودِ وقالَ لهُم: "لَستُ أرى لهُ جَريمةً ارتَكَبَها. 39 قد جَرَتِ العادةُ بَينَكُم على أن أُطلِقَ لكم سَجينًا واحدًا مِن سُجنائِكُم في عِيدِ الفِصح، فهل لدَيكُمُ الرَّغبةُ في إطلاقِ مَلِكِ اليَهودِ؟" 40 فَعَلَت أصواتُهُم ورَدّوا قائلينَ: "لا تُطلِق سَراحَهُ، بل أطلِقْ سَراحَ باراباس!" وقد كانَ باراباسُ هذا مُجرِمًا مُتَمَرِّدًا على الرُّومان.

19

الفصل التاسع عشر

الحكم على عيسى (سلامُهُ علينا) بالصّلب

1 وهَكَذا أمَرَ الحاكمُ بيلاطُسُ بِجَلدِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا)، 2 فصَنَعَ الجُنودُ تاجًا مِنَ الشَّوكِ المَجدولِ، ووَضَعوهُ على رأسِهِ وألبَسوهُ رِداءً مَلَكِيًّا ذا لَونٍ أُرجوانيّ،[٨] 3 ثُمَّ حَيَّوهُ ساخِرينَ: "عاشَ مَلِكُ اليَهودِ!" وكانوا

---

[٦] في حال اعترف المسيح (سلامُهُ علينا) بأنّه ملك، فإنه يحاكم على أنّه متمرّد وبالتالي يحكم عليه بالصلب.

[٧] سؤال بيلاطس هنا ملتبس. لذلك سأله السيد المسيح ليعرف الهدف من سؤاله عن طبيعة مُلكه، لأنّ المسيح (سلامُهُ علينا) لم يكن يدّعي المُلك على مقاطعة من مقاطعات الرومان، إنّما كان قصده المُلك الروحي الشامل.

[٨] كان اللون الأرجواني خاص بملابس الملوك وأثرياء القوم، لغلاء ثمنه. ولكنّ هؤلاء ألبسوه

يَتَناوَبونَ عليهِ صَفعًا ولَطمًا. [4] ثُمَّ خَرَجَ الحاكِمُ بيلاطُسُ إلى الحُشُودِ وقالَ لهُم مَرّةً أُخرَى: "اِعلَموا أنّي سأُعِيدُهُ إليكُم، وأنا لا أجِدُ سَبَبًا لإدانتِهِ". [5] وخَرَجَ عيسى (سلامُهُ علينا) وقد عَلا رأسَهُ تاجٌ مِنَ الشَّوكِ مُرتَديًا ثوبًا أُرجوانيَّ اللَّونِ. والتَفَتَ بيلاطُسُ إلى المُحتَشِدينَ قائلاً: "ها هوذا الرَّجُلُ". [6] وصَرَخَ رُؤساءُ الأحبارِ وحُرّاسُ بَيتِ اللهِ عِندَ رُؤيتِهِ: "اُصلُبْهُ، اُصلُبْهُ!" ولكنّ بيلاطسَ أجابَهُم: "خُذُوهُ أنتُم واصلُبُوهُ، فإنّي لم أجِدْ لهُ ذَنبًا لإدانَتِهِ". [7] فقالَ قادةُ اليَهودِ: "شَريعَتُنا تَقضي بِموتِهِ لأنّهُ ادَّعى بأنّهُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ". [8] واشتَدَّت رَهبةُ بيلاطسَ بَعدَ سَماعِ كَلامِهِم(٩) [9] فعادَ إلى قَصرِهِ وسألَ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا): "مِن أينَ أنتَ؟!" إلاّ أنّ عيسى (سلامُهُ علينا) لم يُجِبْهُ. [10] فتابَعَ بيلاطسُ كَلامَهُ قائلاً: "أتَرفُضُ الإجابةَ؟ ألا تَدري أنّي صاحِبُ السُّلطةِ، إن شِئتُ أطلَقتُ سَراحَكَ وإن شِئتُ صَلبتُكَ؟" [11] فأجابَهُ (سلامُهُ علينا): "لم تَكُن لكَ تِلكَ السُّلطةُ عليّ لو لم يَمنَحكَ إيّاها اللهُ، ولكنّي أقولُ: إنّ إثمَ مَن سَلّمَني إليكَ أعظَمُ مِن إثمِكَ". [12] ولمّا سَمِعَ بيلاطُسُ كَلامَهُ حاوَلَ إطلاقَ سَراحِهِ. إلاّ أنّ قادةَ اليَهودِ احتَجُّوا صارِخينَ: "إن أطلَقتَ سَراحَهُ فهذا يَعني أنّكَ تَخونُ القَيصرَ، لأنّ كُلَّ مَن يَزعُمُ أنّهُ مَلِكٌ يَتَمَرَّدُ عليهِ". (١) [13] فلمّا سَمِعَ بيلاطسُ كَلامَهُم هذا، أخرَجَ عيسى (سلامُهُ علينا)، وأوقَفَهُ أمامَ مِنصَّةِ القَضاءِ في مَكانٍ اسمُهُ البَلاطُ ويُقابِلُ جَباثا بالعِبريةِ، [14] وكانَ ذلِكَ نَحوَ ظَهيرةِ يومِ التَّهيئَةِ ليَومِ عِيدِ الفِصحِ، وخاطَبَ بيلاطُسُ اليَهودَ بقولِهِ: "هُوَ ذا مَلِكُكُم!" [15] ولكنّهُم صَرَخوا قائلينَ: "اُقتُلْهُ! اِقْضِ عليهِ! اُصلُبْهُ!" فأجابَهُم بيلاطُسُ: "وهل أصلُبُ مَلِكَكُم؟" فأجابَهُ رؤساءُ الأحبارِ:

هذا الرداء الأرجواني سخريةً منه (سلامُهُ علينا).

(٩) وقد سبق أن أصابت بيلاطس الرّهبةُ بسبب ما سمع سابقا من أقوال منه (سلامُهُ علينا). ولكنّ خوفه اشتدّ عند سماعه هذه الكلمات، لأنّ القيصر الروماني اتّخذ لنفسه لقب ابن الله، وأيّ شخص آخر يتّخذ هذا اللقب يرتكب الخيانة العظمى وعقابها الإعدام.

(١) يحاول اليهود هنا توعّد بيلاطس بإبلاغ أمره إلى القيصر، وقد وجهّوا إليه تهمة إخلاء سبيل رجل متّهم بالخيانة.

"لَيسَ مِن مَلِكٍ علينا سِوى القَيصر".[٢] 16 ونَزَلَ بيلاطسُ في النِّهايةِ عِندَ رَغبةِ قادةِ اليَهودِ وسَلّمَ إليهِم عيسى (سلامُهُ علينا) ليُصلَبَ.

عيسى (سلامُهُ علينا) والصّليب

17 ثُمّ أُخِذَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) خارِجَ المَدينةِ حامِلاً صَليبَهُ واتَّجَهوا بِهِ إلى مَكانٍ يُدعى الجُمجُمة، أو الجُلجُثة بالعِبريّةِ، 18 هُناكَ تَمَّ صَلبُهُ مَعَ مُجرِمَيْنِ مِنَ المُتَمَرّدينَ،[٣] أحدُهُما عَن يَمِينِهِ والآخَرُ عَن يَسارِهِ.[٤] 19 وقد أمَرَ بيلاطسُ بوَضعِ لافِتةٍ فَوقَ رأسِهِ كُتِبَ عليها سَبَبُ إدانَتِهِ: "عيسى النّاصِريّ مَلِكُ اليَهودِ". 20 وكانَت بثَلاثِ لُغاتٍ: الآراميّة واللاّتينيّة واليُونانيّة.[٥] وقَرأ تِلكَ اللاّفتةَ الكَثيرُ مِن اليَهودِ، لأنّ مَكانَ الصَّلبِ كانَ على مَشارِفِ المَدينةِ، 21 فاحتَجَّ رُؤساءُ الأحبارِ على ما كُتِبَ فقالوا لبيلاطُسَ: "لِماذا كَتَبتَ: مَلِكُ اليَهودِ؟ كانَ عليكَ أن تَكتُبَ أنّ هذا الرَّجُلَ زَعَمَ أنّهُ مَلِكُ اليَهودِ". 22 ولكنّ بيلاطسَ رَدَّ عليهِم قائلاً: "قد كَتَبتُ ما كَتَبتُ ولا تَبديلَ لهُ".

23 وقَبلَ أن يَرفَعَ العَسكَرُ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) على الصَّليبِ، جَرَّدوهُ مِن ثِيابِهِ وتَقاسَموها فيما بَينَهُم أربَعةَ أقسامٍ لكُلِّ عَسكرِيٍّ حِصَّةٌ مِنها، ثُمَّ أخَذوا رِداءَهُ المَنسوجَ قِطعةً واحدة، 24 مُحدِّثينَ بَعضُهم بَعضًا

---

(٢) ذُكِر مرارًا في كتب الأنبياء أنَّه لا مَلِكَ لبني يعقوب إلا الله. وحتّى الملوك من سلالة النبي داود (عليه السّلام) لم يحْظ مُلكهم بالشرعية إلاّ إذا سلّموا أمرهم لله معترفين بأنّه الملك العلي العظيم. وبإصرار قادة اليهود على أنّ ملكهم هو القيصر دون غيره، فإنّهم بذلك يرفضون حكم الله وشخص المسيح الملك المنتظر.

(٣) عند صلب السيد المسيح (سلامُهُ علينا)، كانت الأغنام تُذبح وتُهَيَّأ لوليمة عيد الفصح في مساء اليوم نفسه.

(٤) نفّذ الرومان حكم الإعدام صلبا على العبيد فقط وعلى أحقر المجرمين الذين لم يحظوا بالجنسية الرومانية. وكان هؤلاء المجرمون يُعلّقون على الصلبان بمسامير كبيرة في معاصمهم وكعوبهم.

(٥) كان اليهود في فلسطين يتكلّمون اللغة الآرامية أو العبرية، أما اللاتينية فكانت اللغة الرسمية للرومان، بينما كانت اليونانية لغة التجارة في جميع أنحاء منطقة البحر المتوسط ويفهمها الكثير من الناس.

قائلينَ: "لا نُمَزِّقُهُ، ولكن نُلقي قُرعةً فنَرى مَن يأخُذُهُ". وبِهذا تَحَقَّقَ ما وَرَدَ في الزَّبور: "قَسَّموا ثيابي بَينَهُم، وعلى مَلابِسي ألقوا القُرعةَ". وهذا ما فَعَلَهُ العَسكَرُ حقًّا.

25 وفي ذلِكَ الحِينِ، وعِندَ صَلبِ عيسى (سلامُهُ علينا)، كانَت أُمُّهُ مَريمُ واقفةً تَرقُبُ ما يَحدُثُ، وبِرِفقتِها أُختُها مَريمُ زَوجةُ كلوبا، بالإضافةِ إلى مَريم المَجدَلِيّة. 26 وعِندَما رأى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) أُمَّهُ وبِجوارِها أَحَدُ حَواريّيهِ المُحَبَّبُ إلى نَفسِهِ، قالَ لها: "اتَّخِذي، يا أُمِّي، هذا الحَوارِيَّ وَلَدًا لَكِ". 27 ثُمَّ وَجَّهَ كَلامَهُ إلى الحَوارِيِّ قائلاً: "لتَكُن أُمِّي أُمَّكَ". وكانَ لهُ ما أرادَ فمُنذُ ذلِكَ الحينِ أصبَحَت مَريمُ تُقيمُ في دارِ ذلِكَ الحَواريِّ.

موته (سلامُهُ علينا)

28 وبَعدَ هذِهِ الأحداثِ العَظيمةِ، أدرَكَ سَيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) أنّهُ قد أكمَلَ كُلَّ ما أوكَلَهُ اللهُ إليهِ، فقالَ الكَلامَ التّالي ليَتَحقَّقَ ما جاءَ في الزَّبورِ: "أنا عَطشانُ". 29 وكانَ هُناكَ وِعاءٌ مَملوءٌ بِنَبيذٍ رَخيصٍ، فغَمَسَ فيهِ أَحَدُ الواقِفينَ هُناكَ قِطعةً مِن الإسفِنجِ، ووَضَعَها على عُودٍ مِن نَباتِ الزُّوفا، ورَفَعَها إلى فَمِ عيسى (سلامُهُ علينا)، 30 وعِندَما ذاقَها قال: "قَدِ اكتَمَلَتِ الرِّسالةُ". ثُمَّ مالَ برأسِهِ وأسلَمَ رُوحَهُ.

31 ولم يُرِدْ رُؤساءُ اليَهودِ تَرَكَ هؤلاءِ المَصلوبينَ على الصُّلبانِ إلى اليَوم التّالي، وهو يَومٌ عَظيمٌ مُقَدَّسٌ، لكونِهِ يومَ عِيدٍ ويومَ سَبتٍ. فأرسَلوا إلى بيلاطُس يَطلُبونَ كَسرَ أرجُلِ المَصلوبينَ كي يَموتوا بِسُرعَةٍ، فيُنزِلوا الجُثَثَ عَنِ الصُّلبانِ، لكي لا تَبقى هُناكَ إلى يَومِ السَّبت.(٦) 32 فجاءَ العَسكَرُ للقِيامِ بتِلكَ المُهمّةِ فكَسَروا ساقَي الرَّجُلِ الأوَّلِ ثُمَّ الثّاني، 33 إلاّ أنّهُم عِندَ وُصُولِهِم إلي سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا)، أدرَكوا أنّهُ قد فارَقَ الحَياةَ فامتَنَعوا عَن كَسرِ ساقَيهِ. 34 وللتَّأكُّدِ مِن مَوتِهِ، طَعَنَهُ أَحَدُ الجُنودِ في جَنبِهِ بحَربةٍ خَرَجَ

---

(٦) ورد في شريعة موسى أنّه لا يبقى شخص معلّق على الصليب خلال الليل (انظر سفر التثنية 21: 22)، وإن بقي شخص معلّق على الصليب فإنّ النّجاسة تحلّ على هذا المكان. وكان كسر ساقي الشخص المصلوب يعجّل في موته لما يسبّبه ذلك من صعوبة في التنفّس ونزيف داخلي.

على إثرِها دَمٌ وماءٌ. [35] وهذِهِ شَهادةٌ أدلى بها شاهِدُ عِيانٍ وشَهادتُهُ حَقٌّ، وهوَ يَروِيها لكَي تُؤمِنوا أنتُم أيضًا بها. [36] ولقد حَصَلَ ذلِكَ أيضًا تَحقيقًا لِما جاءَ في التَّوراةِ وفي الزّبورِ: "لن يُكسَرَ مِنهُ عَظمٌ". [37] وقد وَرَدَ في مَكانٍ آخَرَ في كِتابِ النَّبيِّ زَكَريّا: "سيَنظُرونَ إلى الَّذي طَعَنُوهُ".

دفنه (سلامُهُ علينا)

[38] وبَعدَ ذلِكَ، أقبَلَ يُوسفُ الرّاميُّ الّذي كانَ يُؤمنُ سِرًّا بسَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) خَوفًا مِن بَطشِ قادةِ اليَهودِ، وذَهَبَ إلى بيلاطُسَ وطَلَبَ أن يأخُذَ جُثمانَ عيسى (سلامُهُ علينا) لِيَدفِنَهُ، فلَبَّى بيلاطسُ طَلَبَهُ، وأخَذَ يوسُفُ الجُثمانَ، [39] وكانَ مَعَهُ نِقوديموسُ الّذي زارَ في وَقتٍ سابقٍ سَيِّدِنا عيسى ليلاً. وقد أخَذَ نِقوديموسُ مَعَهُ مَزيجًا يَزِنُ مِئة مِكيالٍ تَقريبًا(٧) مِن طيبِ المُرّ والعودِ لتَحنيطِ جُثمانِهِ الطّاهِرِ، [40] ثُمَّ حَمَلاهُ ولَفَّاهُ بأكفانٍ مُعَطّرةٍ مِنَ الكَتَّانِ حَسَبَ ما دَرَجَ عليهِ اليَهودُ في دَفنِ مَوتاهُم. [41-42] وكانَ هُناكَ قَبرٌ جَديدٌ لم يُدفَنْ فيهِ أحَدٌ في بُستانٍ قَريبٍ مِن مَكانِ الصَّلبِ، فقامَ الاثنانِ بِمُواراتِهِ (سلامُهُ علينا) في هذا القَبرِ القَريبِ مِنَ المَدينةِ، وكانَ الوَقتُ قُبيلَ الغُروبِ، قَبلَ بَدءِ يَومِ السَّبت.(٨)

---

(٧) هذه المقاييس تقريبية، وهي تساوي مئة "ليترا". والليترا وحدة قيس رومانية كانت تُستعمل آنذاك.

(٨) تمّ اختيار القبر في ذلك المكان لقربه من المدينة إذ لم يكن لديهم متّسع من الوقت لدفنه (سلامُهُ علينا) في مكان أبعد، وذلك لاقتراب هبوط الليل وبدء اليوم المقدّس الذي يُحرم فيه القيام بأيّ عمل، بما في ذلك الدفن.

الفصل العشرون

انبعاث المسيح (سلامُهُ علينا) من الموت

[1] وفي صَباحِ الأحَدِ الباكِرِ والظَّلامُ لم يَنجَلِ بَعدُ عن الأرضِ، تَوَجَّهَت مَريمُ المَجدليّة[٩] إلى قَبرِ عيسى (سلامُهُ علينا) فلاحَظَت أنّ الحَجَرَ قد زُحزِحَ عَن مَدخَلِهِ، [2] فعادَت أدراجَها مُسرِعةً إلى بُطرُسَ الصَّخر والحَواريِّ المُحبَّبِ لسَيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) وقالَت لهُما: "لقد أخَذوا جُثمانَ سَيِّدِنا مِنَ القَبرِ ولا نَدري أينَ وَضَعوهُ!" [3] فتَوَجَّها على الفَورِ إلى القَبرِ مُسرعَينِ،[١] [4] غيرَ أنّ الحَوارِيَّ الآخَرَ سَبَقَ بُطرُسَ في الوصولِ إليهِ، [5] وانحَنى فرأى الأكفانَ في القَبرِ، ولكنَّهُ امتَنَعَ عن الدُّخولِ. [6-7] ثُمَّ وَصَلَ بُطرُسُ ودَخَلَ القَبرَ ورأى الأكفانَ ومِنديلَ الرأسِ مَفصولاً عَنها مَلفوفًا على حِدةٍ. [8] عِندئذٍ تَبِعَ الحَواريُّ الواقفُ خارِجَ القَبر بُطرُسَ فرأى ما رَآه بُطرُسُ وآمَنَ في الحالِ بأنّ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) قد قامَ حيًّا مِنَ المَوتِ. [9] ولم يَكُن الحَواريُّونَ يُدرِكونَ حتّى تِلكَ اللَّحظةِ ما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ بأنّ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) لا بُدَّ أن يُبعَثَ حيًّا في زَمانِهِم. [10] وهُنا رَجَعَ الحَوارِيّانِ أدراجَهُما إلى الدّارِ.

ظهوره (سلامُهُ علينا) لمريم المجدليّة

[11] وفي تِلكَ الأثناءِ كانَت مَريمُ المَجدلِيّةُ قد وَصَلَت إلى القَبرِ ووَقَفَت في الخارِجِ تَبكي، ثُمَّ انحَنَت ناظِرةً إلى داخِلِهِ [12] فرأت مَلاكَينِ في ثيابٍ بَيضاءَ جالِسَينِ حَيثُ كانَ جُثمانُهُ مَوضُوعًا، أحَدُهُما مِن جِهةِ رأسِهِ والآخَرُ مِن

---

[٩] المجدلية ربّما نسبة إلى بلدة مجدلة التي كانت تقع على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريّا. ومريم المجدلية هي المرأة التي قام المسيح (سلامُهُ علينا) بتخليصها من الشياطين السبعة.

[١] كان اليهود قديمًا لا يأخذون بشهادة المرأة بصورة موثوقة في معظم القضايا الشرعية، كما هو الحال عند الرومان إلاّ أنّ ذلك كان عندهم بدرجة أقلّ. وربّما هذا هو الذي دفع بطرس والحواري المحبّب لعيسى (يوحنّا) للتأكّد بنفسيهما ممّا قالته المرأة.

جِهةِ قَدَمَيهِ. [13] فخاطَباها قائلَينَ: "لِماذا تَبكينَ أيَّتُها المَرأةُ؟!" فأجابَتهُما: "أخَذوا جُثمانَ سَيِّدي ولا أعلَمُ أينَ أخفَوهُ؟!" [14] ثُمَّ التفَتَتَ وَراءَها فرأت شَخصًا واقفًا ولكنَّها لم تُميِّزهُ ألا إنّ هذا الشَّخصَ هو عيسى (سلامُهُ علينا)، [15] فخاطَبَها بقولِهِ: "لِماذا تَبكينَ أيَّتُها المَرأةُ؟ ووَراءَ مَن تَسعَينَ؟!" أمّا هي فحَسِبَتهُ البُستانيَّ المَسؤولَ عن مَوضِعِ القَبرِ، فقالَت لهُ: "أيُّها الرَّجُلُ، إن كُنتَ أنتَ قد أخَذتَ جُثمانَهُ، فأخبِرني بالمَكانِ الّذي وَضَعتَهُ فيهِ، حتّى آخُذَهُ!" [16] وهُنا ناداها (سلامُهُ علينا): "يا مَريمُ!" فقالَت وقد عَرَفَتهُ: "مَولايَ!" [17] فأجَابَها سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "هَوِّني عليكِ، ولا تُمسِكيني، فسأبقَى مَعَكُم فَترةً مِنَ الزَّمنِ قَبلَ أن أعودَ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحيمِ، ولكنّي أطلُبُ مِنكِ الذَّهابَ إلى أتباعي لتُخبِريهِم بأنّي سأُرفعُ إلى وَليّي ووَليّكم، إلهي وإلهِكُم". [18] وهكذا راحَت مَريمُ المَجدليّةُ تَحمِلُ خَبَرَ رُؤيةِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى حَواريِّيهِ وأتباعِهِ وتُخبِرُهُم بما قالَ لها.

ظهوره (سلامُهُ علينا) لأتباعه

[19] وفي مَساءِ اليومِ نَفسِهِ، كانَ حَواريُّوهُ وأتباعُهُ (سلامُهُ علينا) مُجتمِعينَ وقد أوصَدوا الأبوابَ خَوفًا مِن قادةِ اليَهودِ. وفَجأةً ظَهَرَ لَهُم سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا)، وهو يَقِفُ بَينَهُم وبادَرَهُم مُحَيِّيًا: "السَّلامُ عليكُم!" [20] ومَدَّ يَدَيهِ وأظهَرَ جَنبَهُ ليَرَوا آثارَ الجُرُوحِ فيُوقِنُوا بأنَّهُ حَقًّا هو، ففَرِحَ الحَواريُّونَ لرُؤيتِهِ ليَقِينِهِم بأنّهُ سَيِّدُهُم فِعلاً، [21] ثُمَّ حَدَّثَهُم قائلاً: "السَّلامُ عليكُم. كَما أرسَلَني اللهُ الأبُ الرَّحمنُ إلى النَّاسِ، أجعَلُكُم أنا أيضًا إلى النّاس مِن المُرسَلينَ". [22] ثُمَّ نَفَخَ فيهِم قائلاً: "اِقبَلوا رُوحَ اللهِ. ها أنا ذا أُعطِيكُم سُلطانًا في نَشرِكُم لرسالةِ اللهِ، [23] فكُلُّ مَن يُؤمنُ بها يَحصُلُ على غُفرانِ اللهِ على أيديكُم، أمّا مَن يَرفُضُها فلا غُفرانَ لهُ".[٢]

---

[٢] هذه نتيجة من نتائج نشر رسالة المسيح (سلامُهُ علينا)، وذلك يجعل الناس يتوبون عند سماعهم تلك المنحة الإلهية العظيمة، أو يظلّون على عنادهم دون تجاوب مع تلك المنحة الإلهية وبالتالي يتواصل غرقهم في خطاياهم.

ظهوره (سلامُهُ علينا) لِتوما

[24] ولم يَكُن الحَوارِيُّ تُوما المُلقَّبُ بالتَّوأمِ، حاضِرًا وَقتَ ظُهورِ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) لِحَوارِيِّيهِ وتَحَدُّثِهِ إليهِم. [25] لذلِكَ عِندَما أنبأهُ الحَواريُّونَ قائلينَ: "لقد رَأينا سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) بأُمِّ أعيُنِنا". أجابَهُم قائلاً: "لن أُصَدِّقَ أنّهُ بُعِثَ حيًّا حتَّى أرى أثرَ المَساميرِ في يَدَيهِ، وأضَعَ إصبعي في مَكانِ المَساميرِ ويَدي على جُرحِهِ الّذي في جَنبِهِ!" [26] وبَعدَ مُرورِ ثَمانيةِ أيّامٍ، كانَ الحَواريُّونَ مُجتَمِعينَ في الدّارِ وتُوما بَينَهُم وقد أوصَدُوا الأبوابَ، وفَجأةً ظَهَرَ عيسى (سلامُهُ علينا) واقِفًا بَينَهُم قائلاً: "السَّلامُ عليكُم". [27] ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى تُوما بقولِهِ: "اُنظُرْ، هاتان يَداي! هاتِ إصبِعَكَ وتَحَسَّسَ بِهِ مَوضِعَ المَساميرِ فيهِما. وهاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا في أثرِ الجُرحِ الّذي في جَنبي، وبَعدُ فإن كُنتَ غَيرَ مُصَدِّقٍ فعَليكَ أن تُصَدِّقَ". [28] فاندَهَشَ توما وقالَ: "يا رَبّي وإلهي!!" [29] فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى: "قد آمَنتَ بي إذ رَأيتَني حَيًّا، ولكن هَنيئًا لِمَن آمَنوا بي ولم يَرَوني".

[30] وقد أظهَرَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) مُعجِزاتٍ كَثيرةً في حُضورِ أتباعِهِ لم يَتِمَّ ذِكرُها في هذا الكِتابِ، [31] وإنّ ما وَرَدَ ذِكرُهُ مِن مُعجِزاتِهِ (سلامُهُ علينا) في هذا الكِتابِ إنّما لتَكونوا على يَقينٍ بأنّ عيسى (سلامُهُ علينا) هو المَسيحُ المُنتَظَرُ، الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، فتَحصُلوا بفَضلِ إيمانِكُم بِهِ على نَعمةِ الحَياةِ الخالِدةِ.

21

الفصل الحادي والعشرون

معجزته (سلامُهُ علينا) في كمية السمك الكبيرة

[1] وبَعدَ ذلِكَ تَجَلَّى سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) لحَوارِيِّيهِ مَرّةً أُخرى، في شاطئِ بُحَيرةِ طَبَريّا. [2] وفي ذلِكَ اليومِ اجتَمَعَ بُطرُسُ الصَّخر وتُوما المَعروف بالتّوأمِ ونَثنائيل مِن قَريةِ قانا في الجَليلِ، وابنا زَبَدي، وآخَرانِ مِن حَوارِيِّيهِ، [3] فقالَ لهُم بُطرُسُ: "إنّي ذاهِبٌ إلى الصَّيدِ". فأجابوهُ: "سنُرافِقُكَ".

وخَرَجوا جَميعًا ورَكِبوا القاربَ، وألقَوْا شِباكَهُم في المِياهِ، ولكنَّهُم لمْ يَحظَوا بِصَيدٍ في تِلكَ اللَّيلةِ. [4] وعِندَ حُلولِ الفَجرِ، وَقَفَ عيسى (سلامُهُ علينا) على الشّاطِئِ وخاطَبَ حَوارِيّيهِ إلاَّ أنَّهُم لم يَعرِفوهُ، [5] قائلاً: "أيُّها الشُبّانُ، ألَمْ تَصطَادوا سَمَكًا بَعدُ؟" فأجابوهُ بالنَّفي، [6] فقالَ لهُم: "اِطرَحوا الشِّباكَ مِن جِهةِ القارِبِ اليُمنَى، وستَجِدونَ السَّمَكَ". وهكذا رَمى الحَواريُّونَ بالشِّباكِ، وحاوَلوا سَحبَها فلمْ يَقدِروا لكَثرةِ السَّمَكِ الّذي كانَ فيها. [7] فانبَرَى الحَوارِيُّ المُحَبَّبُ إلى عيسى وقالَ: "إنَّهُ مَولانا عيسى!" وعِندَ سَماعِ ذلِكَ، هُرِعَ بُطرُسُ الصَّخرُ وتَسَتَّرَ بثوبِهِ الّذي خَلَعَهُ قَبلَ ذلِكَ لأجلِ الصَّيدِ، ثمّ ألقى بنَفسِهِ في الماءِ فسَبَقَهُم إلى الشّاطِئِ. [8] ولَحِقَهُ مَن كانَ في القارِبِ مِنَ الحَواريّينَ، وهُم يَسحَبونَ الشِّباكَ بما فيها مِن سَمَكٍ وَفيرٍ، ولم يَكونوا بَعيدينَ عَنِ الشَّاطئِ، سِوى مِئتَي ذِراعٍ تَقريبًا. [9] وعِندَ وُصُولِهِم إليهِ، وَجَدوا جَمرًا مُتّقِدًا عليهِ سَمَكٌ وبجانبِهِ خُبزٌ.

[10] فخاطَبَهُم سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) بقولِهِ: "هاتوا مِنَ السَّمَكِ الّذي اصطَدتُموهُ الآن". [11] فصَعِدَ بُطرُسُ الصَّخرُ إلى القارِبِ، ليَسحَبَ الشِّباكَ إلى الشَّاطئِ، وقدِ امتَلأتْ بأسماكٍ كَبيرةٍ، عَدَدُها مِئةٌ وثَلاثٌ وخَمسونَ سَمَكةً، دونَ أن تَتَمَزَّقَ الشِّباكُ مِن ذلِكَ العَدَدِ الوَفيرِ. [12] فالتَفَتَ إليهِم عيسى (سلامُهُ علينا) قائلاً: "هَيّا تَناوَلوا فُطورَكُم". ورَغمَ أنّهُم على يَقينٍ بأنّهُ السَّيِّدُ المَسيحُ، فإنّ أحَدًا لم يَجرُؤ على سؤالِهِ مُستَوضِحًا. [13] فتَقَدَّمَ مِنهُم (سلامُهُ علينا) وناوَلَهُم الخُبزَ ثُمّ السَّمَكَ. [14] وقد كانَت تِلكَ المَرّةَ الثّالثةَ الّتي فيها ظَهَرَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) لِحَواريّيهِ بَعدَ قِيامِهِ حيًّا مِنَ المَوتِ.

عيسى (سلامُهُ علينا) يتحدّث إلى بطرس

[15] وبَعدَ أن تَناوَلوا طَعامَهُم، التَفَتَ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا) إلى بُطرُسَ الصَّخرِ قائلاً: "يا سَمعانَ بِن يوحنّا، هل مَحَبّتُكَ لي تَفوقُ مَحَبّةَ إخوانِكَ الحَواريّينَ؟" فأجابَهُ بُطرُسُ: "نعم يا مَولاي، أنتَ تَعلَمُ مَدى مَحَبّتي لكَ". فقالَ لهُ (سلامُهُ علينا): "إذن، أَطعِمْ رَعِيّتي". [16] وأعادَ يَسألُهُ مُجَدَّدًا: "يا سَمعانَ بِن يوحنّا، هل تُحِبُّني؟" فأجابَهُ ثانيةً: "نعم يا مَولاي، أنتَ تَعلَمُ أنّي أُحِبُّكَ". فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "إذا، اِعتَنِ برَعيّتي". [17] ثُمَّ

سألَهُ للمَرّةِ الثّالثةِ: "يا سَمعان بِن يوحَنّا، هل تُحِبُّني؟" فأصابَ بُطرُسَ الحُزنُ وأجابَ قائلاً: "يا مَولاي أنتَ تَعلَمُ كُلَّ شَيءٍ، وتَعلَمُ حَقيقةَ مَحَبّتي لكَ". فأعادَ عيسى (سلامُهُ علينا) قَولَهُ: إذن، أَطعِمْ رَعيّتي. [18] الحَقَّ أقولُ لكَ، إنّكَ لمّا كُنتَ شابًّا، كُنتَ تَفعَلُ ما تَشاءُ، وتَذهَبُ حَيثُما تَشاءُ، أمّا في شَيخوخَتِكَ، فَستَمُدُّ ذِراعَيْكَ، فيُقيّدُها آخَرونَ على الصَّليبِ، وسيَقتادونَكَ إلى حَيثُ لا تَشاءُ". [19] قد أشارَ بذلِكَ إلى الطَّريقةِ الّتي سيَموتُ بها بُطرُسُ والّتي سيُرفَعُ بها ذِكرُ اللهِ. ثُمَّ أضافَ قائلاً: "تَعالَ واتبَعْني". (٣)

[20] فالتَفَتَ بُطرُسُ وَراءَهُ فرأى الحَواريَّ المُحَبَّبَ إلى قَلبِ عيسى (سلامُهُ علينا)، وهو الحَواريُّ الّذي مالَ على صَدرِ سَيِّدِنا عيسى أثناءَ العَشاءِ الأخيرِ، قائلاً: "يا مَولاي، مَن ذا الّذي سيَخونُكَ؟" [21] فسألَ بُطرُسُ عيسى (سلامُهُ علينا) بشأنِهِ قائلاً: "يا مَولاي، ماذا سيَحُلُّ بِهِ؟" [22] فأجابَهُ: "لو أرَدتُ لبَقِيَ هذا حيًّا إلى حينِ عَودَتي، إلاّ أنّ ذاكَ الأمرَ لا يَعنيكَ. ما عليكَ أنتَ إلاّ أن تَتبَعَني بإخلاصٍ". [23] وهكذا شاعَ بَينَ جَماعةِ المُؤمِنينَ أنّ هذا الحَواريَّ لن يَموتَ أبدًا، رَغمَ أنّ سَيِّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) لم يَذكُر ذلِكَ مُطلقًا، بل قالَ: "لو أرَدتُ لَبَقِيَ هذا حيًّا إلى حينِ عَودتي".

[24] هذا الحَواريُّ هو الّذي يَشهَدُ بهذِهِ الأُمورِ، وقد دَوَّنَها في هذا الكِتابِ، والكُلُّ يَعلَمُ أنّ شَهادَتَهُ صادِقةٌ. [25] ولقد جَرَت على يَدَيْ سَيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا) عَجائبُ وآياتٌ كَثيرةٌ، ولو رُمنا تَسجيلَها بالتَّفصيلِ لضاقَت عَنها كُلُّ صُحُفِ العالَمِ وكُتُبِهِ.

---

(٣) إنّ سبب تكرار سؤال سيدنا عيسى (سلامُهُ علينا) لبطرس ثلاث مرات "هل تحبّني؟" يعود لإنكار بطرس ثلاث مرّات أنّه يعرف السيد المسيح ليلة الحكم. وذلك ليؤكّد له قبوله من جديد في عداد حوارييه.